

هاورا، المطبيعة دوايسات تحبس النفسساس من فرط الغموض والرعب والإثارة



أسطورة الرجل الذنب

تعالوا معى إلى غابات رومانيا الباردة حيث أكواخ الحطابين ، تعالوا معى إلى الليالى المقمرة حين يكتمل البدر ... ، تعالوا معى لتصغوا لصوت عواء الذئب الذي يجمد الدم فى العروق .. الذئب الذي كان رجلًا .. خذ الحذر .. وتأمل في وجبوه من حولك ، فأحدهم هو .. وحين يكتمل البدر في المرة القادمة لربما تحول إلى مذءوب أمام عينيك المذهولتين .. ، وحين يها بحمك المذءوب حاول أن تنزع منه غلبًا .. ففي الصباح قد يتحول هذا المخلب إلى إصبع بشرى .. إصبع إنسان تعرفه .. صديقك أو ... حيبتك .. ! تعرفه .. صديقك أو ... حيبتك .. !





د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم: أسطورة النداهة

التأخير المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنثر والترزيع بالماد التافق مدادات

روايات هصرية للجيب ما ورا ، الطبيعة مصاص الدماء أسطورة الرجل الذئب

روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايــــات تحــبس الأنفـــــاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

0

مصنّف مصرى مائة فى المائة لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس أو النقل عن أية قصص أورية.

0

مراجعـــة لغـــوية الأســـتاذ/محمـــد شفيق عطـــــا

•

إشـــراف الأمـــتاذ/حـــــدى مصطفـــى

جميع الحقوق محفوظة للناشر وكل اقباس أو تقلميد أو تسزيف أو إعادة طبع بالنزوير يعسرض المرتكب للمساءلة القسانونية.

ماوراء الطبيعة روايات تحبس الأنفساس من فرط الغموض والرعب والإثارة الجزء الأول

ةالرجل

الجسزء الثانى

بقلم



ماوراء الطبي الجزء الأول

روايات مصرية للجي

الدواء

أعتقد أن الوقت قد حان كى أمسك القلم وأكتب عن كل الخبرات والتفاصيل الغريبة التى مرت بى فى حياتى الطويلة والتى لا أعتقد أن كثيرين قد مروا بها .

فى البداية أعرفكم بنفسى : دكتور رفعت إسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقًا بجامعة (....) وعدد لا بأس به من الجامعات فى أوربا وأمريكا ، السن يناهز السبعين ، عرب .. وكيف لمن عاش حياتى أن يتزوج ؟

لقد عشت حياة حافلة .. وهبت نفسى تمامًا للبحث عن أسرار ما وراء الطبيعة .. عرفت كل شيء ، فتحت تابوت الكونت دراكيولا .. وقابلت المذءوبين في غابات رومانيا وبحثت عن وحش (لوخ نس) في اسكتلندا .. وقابلت رجل الثلوج المرعب في التبت .. ولبيت نداء النداهة في غيطان الذرة المظلمة .. واقتحمت قلعة الدكتور فكتور فرانكنشتاين في تراسلفانيا .. وعرفت الزومبي في جامابكا ..

كل هذا سأحكيه لكم بالتفصيل ، ولكن أولا لنتفق على كل شيء ، ضعاف الأعصاب ومرهفو الحس يمتنعون عن القراءة .. أما الشجعان فأنصحهم بألا يِقْرَءوا هذه إلا فى النهار ووسط أهلهم أو أصحابهم ، أما أنا الذى عشت كل هذه الأحداث فقد تبدر الرعب وصارت مجرد ذكريات باسمة عزيزة على نفسى ويخيل لى أننى لو فتحت الباب فوجدت رجل الثلوج واقفا أمامى لأخذته بالأحضان ودعوته على كوب من الشاى !

سأبدأ الآن حكاية ذكرياتي .. وستكون أولى قصصى هي قصة لقائي مع ملك الظلام .. الكونت دراكيولا .



۱ ـ ليـلة رهيبـة ..

كنت فى ذلك الوقت شابًا فى الخامسة والثلاثين من عمرى لا أعرف شيئاً عن عالم ما وراء الطبيعة وكنت أومِنُ أن العلم قد عرف كل شيء .. كنت ساذجًا بالطبع .. سافرت إلى بريطانيا لحضور مؤتمر أمراض الدم الذى يحضره نخبة من أساتذة هذا العلم فى العالم كله ، لكن كما هو معروف _ ليست المحاضرات مشوقة إلى هذا الحد ، وقد قضيت فى ذلك اليوم أربع ساعات من أسود ساعات حياتى أصغى لكلام كثير عن سرطان الدم . وأنيميا البحر المتوسط ... و ... و ...

كان الأطباء الجالسون قد أصيبوا بذلك النوع من الملل والتعاسة والتجمد الفكرى الذى أوثر أن أسميه (ذهول المؤتمرات) ، كانوا جميعًا قد فقدوا الإحساس بظهرهم وأطرافهم . وتحولت أرادفهم إلى جزء من المقاعد ، وبعضهم أخذ يزجّى الوقت فى الحديث همسًا وهم يضعون أيديهم على أفواههم كتلاميذ المدارس ..

- شكرًا ..

وللحظة لم يصدق هؤلاء البؤساء آذاتهم لكن الرجل

كان قد انتهى بالفعل من محاضراته الطويلة ، من ثم تعالت تنهدات العرفان بالجميل ، وبدأوا يصفقون له شاكرين !

كان المحاضر كهلًا وسيمًا اسمه (ريتشارد كامنجز) قابلته في مصر أكثر من مرة وانبهرت به بشدة ، كان شامخًا مهيبًا عصبيًا مغرمًا بالتاريخ والفن وكان يعشق تاريخ الفراعنة وكانت هذه نقطة تلاقينا ..

بعد المحاضرة قابلته ، وعلى الفور هش وبش لى وبدت السعادة على وجهه ، بل إنه صافحنى (وهو شيء غير معتاد من الإنجليز) ثم إنه سألنى عن رأيبى فى المحاضرة فكذبت عليه في كياسة قائلًا إنها رائعة ، دعانى إلى بيته الريفي في (يوركشاير) ؛ لأننى _ كما قال _ إنسان متحضر وشديد الإخلاص للعلم ..

لهذا ـ وكما علمتنى التقاليد الإنجليزية الصارمة ـ وجدتنى أجتاز مدخل حديقة البيت الإنجليزى الجميل فى تمام السابعة مساء .. وكان القمر يرخى ضوءًا هادئاً رقيقًا على غصون اللبلاب المتدلية فوق سقف البيت المنحدر ، وفى الحديقة كنت تشم روائح غير مألوفة لزهور لا تعرف اسمها ..

وفى الداخل كان البيت أنيقًا بسيطًا ، بيت أسرة كاثوليكية متدينة .. وفى قاعة الجلوس كانت هناك

مجموعة كبيرة من الصلبان الأثرية ، ولوحة كبيرة للعشاء الأخير ، وكانت زوجته في منتصف العمر مهنبة رقيقة ، أما ابنته كاترين فكانت مراهقة لكنها أكثر تعقلا من سنها ..

وأدركت كم هم متدينون حين تلوا قبل العشاء صلاة المائدة ، من ثم شعرت بالخجل من نفسي لأني نسيت البسملة على الطعام قبل أن أبدأ الأكل .. تمتمت أن يسم الله أوله وآخره ، وشرعت أملاً بطني من الأصناف جميلة المنظر، شنيعة الطعم ، التي عرف بها المطبخ الإتجليزي في أوروبا كلها ..

بعد العشاء _ وفى حجرة المعيشة المريحة _ جلس د . ريتشارد جوار المدفأة يدخن غليونه ويرشف القهوة فى استمتاع وقد بدا لكلينا أن الحياة لن تكون أبذا أروع مما هى عليه الآن ..

قال د . ريتشارد : كيف تشعر وأنت من سلالة الفراعنة هؤلاء العباقرة ؟

ابتسمت ولم أدر بماذا أرد ، فغمغت : .. بالندم وبالحسرة لأنى لم أحفظ حضارتهم وكل ما اكتشفوه ..

أحيانًا يخيل لى أنه لم يعد هناك ما يمكن اكتشافه بعد كل ما اكتشف حتى اليوم . .

أعتقد أن زمن (الكشوف) قد ولَى وبدأ زمن (التطوير).

وهنا يبدأ دور رجل علم مثلى يؤمن بعلم ما وراء الطبيعة ويؤمن أن كل أسطورة لها أصل ما لم يحاول القدماء أن يتوقفوا عنده ، وهكذا نفتح أبوابًا جديدة ..

وجال بيصره في الحجرة الخالية .. ثم همس:

ـ خذ عندك أسطورة الكونت دراكيولا ..إن أحدًا لم يحاول أن يتأمل فيها .. ، كانوا يبحثون في الكهرباء والموجات الكهرومغناطيسية والانشطار النووى والمضادات الحيوية فلم يتوقفوا عند هذه الأسطورة أبدًا ، هنا يأتي دور رجل علم مثلي يؤمن أن هذه الأسطورة لم تأت من فراغ ويتوقف لحظة عندها ..

هناك شوآهد تاريخية عديدة ومريبة .. الدم هذا السائل الأحمر الغامض رمز الحياة والموت مغا .. خذ عندك طقوس شرب الدماء في الهند .. المومياوات ذات الأنياب التي وجدوها في الصين ، ومآدب أهل أسبرطة التي كانوا يحتسون فيها الدم الممزوج بالخل والتوابل ، ودماء السلحفاة البحرية التي يشربونها لعلاج الروماتيزم في جامايكا ..

وكتب السحر في العصور الوسطى ، وكلها تتحدث عن طرد مصاصى الدماء كقضية مسلم بها .. وهنا نبدأ ـ بمرونة فكرية ـ نجزم أنه فى وقت ما ، فى مكان ما ، تواجدت مخلوقات كابوسية تعيش على الدماء مثل دراكيولا . .

- اوه!

كان هذا هو صوت كاترين .. وكانت قد دخلت الحجرة لتوها فسمعت آخر جملة ، وسرعان ما اعتذرت بأنها ترغب في الصعود لحجرتها ..

قال د . ريتشارد :

 هكذا أفضل .. هناك أشياء لا يجب أن يقولها المرء أمام النساء ..أنت تفهمينني ..

واتجه نحو النور الكهربائى وأطفأه ، فساد الظلام الحجرة فيما عدا نور المدفأة الهادئ الخافت .. ، وقال بطريقة درامية مؤثرة .

- هكذا يكون الجو مناسبًا لهذه الأحاديث الرهيبة!!

أحسست بالرجفة تسرى فى ظهرى ، وكان منظر لهيب المدفأة يذكرنى بالمشوار الذى ينتظرنى بعد هذه الأمسية فى العودة لفندقى .. البرد والخوف ..

توقف د . ريتشارد أمام إحدى اللوحات المعلقة يتأملها على ضوء المدفأة المتراقص ، وهمس :

ـ لقد بحثت وبحثت سنوات طويلة مع أحد رفاقى من عثماء التاريخ .. واليوم أستطيع أن أقول إننا برهنا بالدليل

المادى على وجود الكونت دراكيولا ..

دوت الكلمة الكابوسية فى الظلام فأجفلت لها فى مقعدى ، والواقع أن د . ريتشارد كان مخرجًا مسرحيًا رائعًا ..

القصة كما يعرفها كل الناس هي قصة ذلك الكونت الذي عاش في ترانسلفانيا في القرن الرابع عشر .. كان شريرًا بكل ما في الكلمة من معان ، ولكنه لم يكن من الموتي الأحياء .. إلا أن كاتبًا نشطًا أسماه (دراكيولا) أي الشيطان ، وخلده « برام ستوكر » في قصته الشهيرة التي لم يزل الناس يرتجفون منها حتى اليوم .. ثم السينما العالمية .. «فنسنت برايس .. لون شاني» ليكملوا الصورة ..

اليوم أقول أنا : إن (دراكيولا) وجد فعلًا كما صورته القصص دون أية مبالغة ..



٢ - خادم الكونت ..

قلت في حماسة :

- « لكن كلينا رجل علم ، وكلينا يعرف أن مالا يرى ولا يُسمع ولا يُشم ولا يُعقل ، هو ببساطة غير موجود .. » . ابتسم د . ريتشارد في ثقة .. ثم اتجه نحو خوان في ركن الغرفة وفتح درجه وأخرج ظرفا ممتلئا ناوله لي ، وقال :

- اقرأ هذه الأوراق قبل أن تتحدث عن العلم ..

قبل أن أرد دخلت علينا (مسز كامنجز) باشة الوجه .. وبانجليزية حاولت أن أجعلها راقية شكرتها علسى العشاء .. ثم أطريت بيتهم وأبديت إعجابي بلوحة العشاء الأخير المعلقة .. فشرعت تشرح لى قصة اللوحة ونظرات الدهشة المرتسمة على وجوه الحواريين ... و ... و ...

- هل تعلم سر تشاؤم الغربيين من سقوط الملح على المائدة ؟

فهززت رأسي معترفًا بجهلي .. قالت :

 لأن (يهوذا) الخائن مرسوم فى اللوحة وقد انسكب الملح على المائدة أمامه ..

هل ترى وجهه ؟ هذا وجه ارتسمت عليه كل خطايا

البشر .. إنه خاضع للشيطان لكنه مستسلم لهذا ولا يجد سبيلا آخر ..

كنت في هذه اللحظة قد دخلت في عالم اللوحة لكنى كذلك كنت أفكر في المسافة الطويلة التي تفصلني عن القراش الدافئ وقراءة هذا المظروف الذي أحمله ..

وحين عدت للفندق تمددت فى الفراش وتسأملت المظروف الذى أعطانيه د . ريتشارد ، وكان مليئا بأوراق قديمة وصور فوتوغرافية ..

كانت إحدى الصور لقصر أثرى غريب ، وأخرى لتابوت رخامى مغلق ، ثم صورة لشيء لم أفهم ما هو ، ثم صورة للوحة زيتية تمثل رجلًا ملتحيًا طويل القامة .. أما قطعة الورق الصفراء المهترئة فكان بها خريطة مرسومة بحبر أسود لقصر مجهول به سراديب سميت بأسماء سلافية لم أعرف حتى كيف أقرؤها ..

ألغاز كثيرة جدًا ..

أخيرًا ورقة بالإنجليزية _ بخط د . ريتشارد _ تقول :

« لقد بحثنا شهورًا في سراديب قصر (الكونت دراكيولا) في ترانسلفانيا ، وهو الذي منعت السلطات السياح من زيارته لأنه آيل للسقوط في أكثر من موضع .. ، وأخيرا وجدنا الخريطة المرفقة التي دلتنا على توابيت عائلة الكونت في سرداب قديم مليء بالاتربة والوطاويط ...

وقد فتحنا التوابيت كلها حتى وجدنا مومياء الكونت وعلى صدرها وجدنا صندوقاً عاجيًا فيه رسالة كتبها خادم الكونت للأجيال القادمة:

- أكتب هذه الرسالة لمن يأتون بعدى كى أحذرهم من خطر داهم شنيع ، لقد اختار الشيطان هذه المنطقة التعسة مهذا له ..

إن (دراكبولا) هو أول مصاص دماء بولد في هذا البلد، إن سيدى الكونت معروف بين الفلاحين بقسوته وطغيانه واستخدامه جيشًا من المرتزقة نفرض سلطانه، كل هذا جعلهم يسمونه (الشيطاني) أو (دراكبولا)..

بدأ الكونت فى كل مساء يشرب مزيجًا لعينًا من دم الخنازير والنبيذ والتوابل بدعوى أنه يعيد الشباب ، وبدأ يدرس السحر الأسود .. ويزداد انعزالًا وغرابة ..

لقد بدأ وجهه يستطيل وصوته يأخذ نبرة عواء الذنب في الليائي المقمرة ، وصار يخرج في المساء ويعود في الفجر وينزوى بالساعات في بدروم القصر وحيدًا .. بل إنه لم يعد يأكل ..

وفى كتب السحر وجدت تفسير حالته .. إن هذا المزيج الذي يشربه يقود إلى الخلود بأشنع الطرق .. إنه يحيل من



وقد فتحنا التوابيت كلها حتى وجدنا مومياء الكونت وعلى صدرها وجدنا صندوقًا عاجيًّا ..

یدمنه إلی خفاش بشری یتگئی بدماء البشر لیلًا وینام فی تابوت نهارًا ویموت إذا رأی ضوء الشمس ..

وكان لابد أن أعرف ..

صباح اليوم التالى استجمعت شجاعتى ونزلت بدروم القصر حيث توابيت أسرته ، وكانت رائحة العطن تملأ المكان ، والفنران تمرح فى حرية تامة ، وفى تابوت رخامى وجدت ما كنت أبحث عنه (هذا الجزء غير واضح فى المخطوط) لاتنفس .

ووجهه شاحب شحوب الموتى وعلى شفتيه قطرات من دماء لم تجف بعد ، وعيناه مفتوحتان تحدقان في لاشيء ..

اقتربت من شفتیه واستجمعت شجاعتی وفتحتها .. فوجدت صفین من الأسنان الدقیقة المدببة كأسنان الضواری ، انتابنی ذلك الرعب المجهول الذی یشل العقل تمامًا .. جریت فی هلع وقد تسلطت علی فكرة واحدة : الهرب .. لاأدری لاین .. ونسیت أن أعید غلق التابوت ..

إذن غدا الكونت مصاص دماء، وصار عالة على نفسه وعلى الآخرين، إذن كان أهل القرية محقين حين كانوا يرسمون الصليب حين يمرون بالقصر، وإذن كان هذا هو

سر جثة المتسول العجوز التي وجدوها قرب القصر ملقاة على الكلا وفي عنقه ثقبان أحمران ..

لهذا نزع الكونت الستائر البيضاء والأيقونات ، ولهذا كان ذلك العواء الذي يهز القصر في الليالي القمرية .. ولهذا .. ولهذا .

عدت لكتب السحر أقرؤها ، إن مصاص الدماء كابوس .. ومن واجبى أن أجد أنا دواء لهذا الكابوس خاصة أنه لم يمتص دمى بعد ربما لحاجته إلى .

إن قتل مصاصى الدماء أمر سهل ، فهو يموت من أى رمز دينى .. إنه مخلوق رمزى ، وجوده رمز ومصرعه يتم بالرموز ، الضوء واللون الأبيض والفضة والكتب السماوية كلها تقتله ، لكن الطريقة الفعالة هى وتد من الخشب يدق فى صدره ، ثم تلّى صلاة الموتى عليه ، وتحذر كتب السحر من أنه: كما أن مصاص الدماء رمز فموته رمز ، إنه يعود للحياة مرة كل مائة سنة ليعيث فى الأرض فساذا ، ثم إنه بعد أن ينشر الرعب والموت يقتل على يد إنسان لم يتلوث ... و ...

وهنا أحسست بشيء غير عادى في الحجرة .. رفعت رأسي فوجدت الكونت (دراكيولا) واقفًا على رأسي يسد الباب وهو يبتسم ابتسامة صفراء رهيبة ، لقد جاء الليل دون أن أدرى وحين نهض وجد غطاء التابوت مكشوفًا وأدرك أننى فهمت !

ونظرت إليه في هلع ..

لم يعد وجهه يمت بصلة للوجه الذي عرفته .. ناباه الفظيعان .. بشرته الشاحبة المتجعدة .. رائحة الكبريت التي تتحدث عنها كل كتب السحر ، تحرك أمام المرآة فلم أجد له صورة ، حتى الشمعة لم تترك له ظلًا على الحائط ..

صرخت: يا إلهى .. أنقذني !

أجفل .. وتراجع لحظة .. فجريت للباب كما لم أجر فى حياتى إلى غرفتى .. أغلقت الباب بالمفتاح ، وعلى الفراش أغمى على ، وكان آخر ما رأيته هو مقبض الباب يتحرك ، لكن الباب كان مغلقًا ..

نعم .. صار الكونت هو خليفة الشيطان في الأرض ، إنه مريض وهو يعلم ذلك ، ولقد قررت أن أريحه ..

سأفتله اليوم ، كتب السحر قالت إنه سيموت على يدى رجل لم يتلوث .. وأنا هو ذلك الرجل ، أنا القاضي والمدعى والجلاد معًا ، سأنزل إليه بالخنجر الفضى والشوم وقبل كل شيء . بإيماني ..

ولنن كنت ملوئًا ولقيت مصرعى فليعلم من يجد هذه الرسالة ما علمته أنا ولينتظر عودة الكونت كلما مرت منة علم ، ولينتصر من هو منا على حق .

خادم الكونت / جيسيب ميخانيل في عام الرب ١٥٥٩ بعد نهايسة الرسالة وجدت تعليقًا صغيرا بخط د . ريتشارد يقول : إنهما وجدا مومياء الكونت وعلى صدرها هذا التحذير للأجيال القادمة ، وأن هذا يعنى أن الخادم وُقْق في مهمته ..

انتهت المذكرات ..

أغلقت مفتاح الأباجورة وأغلقت عينى لأريحهما فى الظلام .. إذن فهذه الخزعبلات هى ما يشغل ذهن العالم العظيم .. وكل هذا الكلام الأبله الذى يقولونه فى أفلام الرعب الرخيصة عن الهنود والأرسبرطيين ومومياوات الصين ... هراء ...

ومضيت أسلَى نفسى بمحاولة تخيل شكل الشر فى العالم .. غول أحمر العينين .. أخطبوط له ستة أذرع .. لم أستطع .. ولسبب لا أدريه لم تفارق ذهنى صورة وجه يهوذا فى لوحة دافنشى .. النظرة التعسة الآثمة .. نظرة الخاطئ الذى لا يملك سوى أن يخطئ ..

ولم أدر كيف ، ولا متى غرقت في سبات عميق ..





بعد نهاية الرسالة وجدت تعليقًا صغيرًا بخط د. (ريتشارد) يقول : ـ إنهما وجدا مومياء الكونت وعلى صدرها هذا التحذير للأجيال القادمة ..

فى اليوم التالى وبعد انتهاء جدول أعمال المؤتمر لهذا اليوم، قابلت د . ريتشارد فى كافتريا المؤسسة ، يرشف القهوة ويدخن . . حبيته وقد بدا لى أن اللبلة السابقة كانت مجرد شيء سخيف . . وبعيد جدًا . .

قلب د . ریتشارد الکریمة، علی سطح فنجانه، ثم سألنی:

- قرأت الأوراق ؟
 - نعم
 - ـ وما رأيك ؟

صارحته برأيى في الموضوع كله، فالتمعت عيناه غضبًا ووضع فنجانه في الطبق:

ـ خزعبلات ؟! أنت تظن أننى وواحد من أعظم علماء التاريخ فى أوربا كنا ضحية خدعة قذرة للفقها لنا أحد الظرفاء .. حسن .. لقد كلسف هذا الظريسف نفسه ما لا يطيق وأعد كل هذه الأوراق ، وأعد المومياء وانتظر سنوات عديدة حتى يخطر لأبله مثلى أن يبحث فى هذا السرداب حتى يجد هذه الأشياء .. يا لها من دعابة !

ـ ليس هناك مايئيت رأيى لكن ليس هناك ما ينفيه . هز رأسه في ضيق ، ثم عاد لبروده الموروث وقال - - أريد منك أن تأتى إلى هذه الليلة .. هناك شيء جديد أريد أن تراه .. نفس الموعد ..

مرة أخرى على العشاء أجلس أمام نظرات يهوذا الآثمة ، على الناحية الأخرى من المائدة يجلس البرفسور « ماكس لوفارسكى » وهو _ كما عرفت أنت _ يهودى لم يكف لحظة عن الحديث عن ماعاناه في معتقلات النازيين ، لماذا خلق الله العلماء مملين إلى هذا الحد ؟ بعد العشاء التفت إلى د . ريتشارد ، وقال :

- إن ما سأريه لك الآن هو خلاصة بحث سنوات من عمرى أنا والأستاذ (لوفارسكى) ، لا أطالبك أن تقتنع ، لكنى أطالبك - وهذا من حقى - بالاحترام لكل ما ستراه ، أضف لهذا أن ما ستراه هو سر سيظل طى الكتمان ..

نطق العبارة الأخيرة بلهجة مرعبة تعمد الضغط على كلمة (سيظل) فشعرت بالرهبة ، وقلت :

_ أعدك بهذا ..

نهضت معهما إلى القبو _ قبو البيت الاتجليزى الأنيق حيث رائحة الخمر المعتق والعطن ورائحة شيء ما لم أستطع أن أحبها .. أزاح د . ريتشارد الخييش عن صندوق مغلق في أحد الأركان .. وفتحه ثم هتف بلهجة مسرحية :

- أيها السادة .. ها هي ذي مومياء الكرونت در اكبولا ..!

من العدل أن أقول إننى لم أشعر برهبة ولا فضول ولا شيء على الإطلاق .. بل ظللت محتفظًا بتعبير رجل العلم الذي لا (يندهش) من شيء ولكن (يهتم) به .

كانت مومياء عادية لها كل مزايا وعيوب أية مومياء أخرى .. جلد متآكل .. خصلات شعر متناثرة .. أنف مجدوع .. شيء واحد كان مختلفًا .. الأسنان .. ، لماذا كانت في فك هذا الشيء تلك الأنياب الحادة الشبيهة بأنياب الذناب ..؟

ابتسم د . (كامنجز) في تشفّ .. وهمس : _ ما رأيك ..؟

لم أرد بل سألت (لوفارسكي):

.. كيف استطعتم إحضاره هنا ؟

_ لقد نجحنًا في تهريبه بوسائل معقدة على أنه شحنة أدوات حفر ، والسلطات في تراسلفانيا لا تعرف حتى بوجوده هنا .. لهذا لم تبحث عنه أصلًا ..

أشعل د . (ريتشارد كامنجز) عود كبريت وقربه من المومياء .. فجأة انطفأ .. فهتف :

- « هل ترى ؟ ثمة غاز خامل يتصاعد من هذه المومياء.. » لم أستطع أن ابتلع كل هذا .. لكنه واقع .. أمامى الآن الدليل الحى على خطأ الافتراضات العلمية وعلى وجود السحر، وعلى قابلية كل الأساطير للتصديق وعلى ...

سألت د . (ريتشارد) :

- _ لكن لماذا تضيعون كل هذا الوقت والمجهود ؟
 - _ الحقيقة ..
 - قالها د . (ريتشارد) في بساطة .. واستطرد :
- الحقيقة التى ستهب العلم مرونة لا تقاس، تكفى لاستيعاب الأساطير وكل معتقدات الشعوب البدانية وتحدث انقلابا لم يشهد له العالم مثيلا..

إننا نقف الآن أمام الدليل الحي على وجود السحر ..

صعدنا لحجرة المعيشة بعد دقائق، وجلسنا في صمت حول مجموعة من المستندات القديمة ..

قلت في حيرة:

- ـ نم أفهم بعد .. ما السر في إطلاعي أنا بالذات على هذا ؟
 - أنت مسلم يا د . (رفعت) ..
 - ـ نعم ..
- وأنا كاثوليكى و د . (لوفارسكى) يهودى ، وهذا سيجعل شهود المعجزة هم نماذج لثلاثة أديان ..
 - ـ أية معجزة ؟
 - _ عودة دراكيولا ..



مد د . (ریتشارد) یده إلى الأوراق وفتح إحداها وشرع یقرأ :

- تقول المستندات إن مصاص الدماء يعود للعالم كل مائة عام لنشر الفساد والشر، ثم يموت على يد شخص لم يتلوث ..

وهنا قال د . (لوفارسكي) عابثًا بلحيته :

- إن لدينا شواهد تاريخية على ظهور مخلوقات لها صفات مصاص الدماء والعثور على جثث رقبتها مثقوبة في الأعوام ١٧٥٩ و ١٨٥٩ ، ويشكل أكثر تحديدًا في الليالي المقمرة التي يتوازى فيها المشترى مع المريخ ، ويمكن القول إنه كان يقتل في كل مرة .. ويعود لصورة المومياء التي نراها .

_ وهل كان يعود من تلقاء نفسه ؟

قال د . (لوفارسكى) :

- كلا .. بل بمعونة بعض الأوغاد الذين يؤدون بعض الطقوس اللازمة للبعث .

وهنا بدأت أفهم .. كنسا في العسام ١٩٥٩ .. أي أن هذا هو العام المنتظر السعيد .

وفتح د . (ماكس لوفارسكي) ورقة صفراء وشرع يقرأ :



إنه كان يقتل في كل مرة .. ويعود لصورة المومياء التي نراها .

- أول الطقوس هو أن يؤديها أشخاص بلغ منهم الشر كل مبلغ ... أي نحن ..!

قال د . (ریتشارد) :

- إننا عبيد الفضول العلمى، وكلنا على استعداد لعمل أى شيء من أجل الحقيقة ... إن العلم هو ما نحيا من أجله ..

ـ ثانى الطقوس هو شرط القرن . أى أن تكون مائة عام قد مرت على مصرع الكونت ..

ــ ثالث الطقوس هو شرط القمر . أى أن يكتمل البدر ويتوازى المشترى مع المريخ ..

الشرط الثاني أو الثالث سيتحققان بعد أسبوع . ليلة الأربعاء ..

الشرط الرابع هو شرط الوطواط .. يجب أن يوضع على صدر الجثة مومياء وطواط وهذا ليس صعبًا .

الشرط الخامس هو شرط الدم .. بحيث أن يوضع دلو من الدم بجوار المومياء .

ـ دم بشری ؟

ـ لم يحدد النص ذلك .. ـ

وهنا لاحظت شيئا .. التمعت عيناى فى فخر كأننى طفل فاز فى لعبة المساكة ، وصحت :

ـ لحظة من فضلك .. التاريخ يحكى أنه ـ فى كل مانة عام ـ كان بعض الأوغاد يجدون التابوت ويمارسون نفس

الطقوس، فكيف تأتّى أن التابسوت لم يزل فى نفس المكان، والرسالة لم تزل حيث يتركها الخادم منذ خمسة قرون ؟

احمر وجه د . (ریتشارد) فترة ، ثم همس فی استسلام:

_ نقد فاتنى التفكير في هذا بالفعل ..

قال د . (لوفارسكي) :

- لربما فكر من يقتل الكونت في كل مرة أن يترك الرسالة في موضعها للأجيال القادمة ؟

- ولماذا يحرص من يقتل الكونت على إعادة جثته للتابوت في كل مرة ؟ لماذا لا يدفنها في أى مكان ؟ لماذا لا يمزقها أو يحرقها ؟ لم أعرف أن قتلة مصاصى الدماء منظمون إلى هذا الحد ؟

ساد الصمت للحظات وأدركت _ فى فخر _ أن الرجلين يكرهاننى فى جنون ، لكن هذا هو العلم ، وهما يعرفان هذا خيرًا منى ..

قال د . (ریتشارد) بعد تفکیر :

- حسن يا د . (رفعت) . إننا مصممان على التجربة ، والتي لم يبق لها سوى أسبوع ، فإذا لم تقبل فعلى الأقل ألل ذلك الآن حتى يتسنى لى أن أجد عالمًا أثق به من الجالية المسلمة في إنجلترا . . الوقت ضيق كما ترى . .

من أنا حتى أرفض أمرًا كهذا ؟ سنكون ليلة الأربعاء

لينة مثيرة بكل المقاييس ... ، هكذا قلت لنفسى .. كنت ساذجًا كما قلت لك ...

_ إذن فلنبدأ .. الوقت ضيق كما قلت أنت ...

لم بكن هناك أى شيء يقنع العالمين سوى التجربة في ذاتها ، وكنت واثقًا من نفسى أننى بدأت أعد عبارات العزاء التي سأقولها لهما حين تشرق شمس يوم الخميس والمومياء لم تزل كما هي _ مومياء _ يالها من لحظة !. لحظة يعرف كل منهما أنه أضاع عمره يطارد وهما .. باللحسرة ..!

كان الأمر واضعًا في ذهني تمامًا .. هذه مومياء قام أحدهم بنشر أسنانها لتبدو كالأنياب وستظل كذلك ، لا أرى الموضوع على أي ضوء آخر .

فى الصباح جاء (جوناثان) صبى البقال بلغة صغيرة التضح أنها خفاش ميت اصطاده من الكنيسة المهجورة المجاورة، وأخذ جنيهين كاد يطير بهما فرحًا ..

وجلست أنا ود. (ريتشارد) نحنط الخفاش في الحديقة مستعملين الفورمالين .

_ لنفرض أننا لم نستطع السيطرة على دراكيولا حين ينهض . فماذا نفعل ؟

قال د . (لوفارسكي) :

_ إذا نهض ، لقد كان مفزعًا في العصور الفابرة .. عصور الشمعدانات والعربات التي تجرها الخيول

والكونتيسات ... الخ ، لكنه اليوم سيعود فى عصر انشطار الذرة والكهرباء . لن يكون سوى مجرد حيوان تجارب طريف ..

قال د . (ريتشارد) :

ـ سنقوم بنقله إلى معمل مظلم فى جلاسجو ونقيده هناك ، ثم ندرس كل شىء ... تركيب دمه ... أنسجته ... ضغط دمه ... درجة حرارته ، وإذا مات سنشرحه .. لربما أتى اليوم الذى نعقد له فيه مؤتمرًا صحفيًا أو ننشر مذكراته فى كتاب اسمه (عشت فى تابوت) يحطم مبيعات السوق ! قلت :

- إن هذا المسخ محظوظ جدًا ... لكن أتمنى لو عدت للحياة بعد مائة عام لأرى حال السياسة والعلم والمجتمع والناس وقتها ..

فاحت في المكان رائحة لاتطاق لأحشاء الخفاش النعينة ، واستمررنا في عملنا على مضض .

- اللعنة .. ؟ فهمت الآن لماذا لا يُبعث مصاص دماء إلا كل مائة عام ..

ثلاثة عنماء يعملون في صبر من أجل إثبات وهم ...



جلست فى حجرتى المريحة التى أعطانيها د . (ريتشارد) فى بيته الريفى الجميل .. كنت قد غادرت الفندق من ثلاثة أيام، لكنى تركت هنالك أمتعتى لسبب ما ، لم أدر ما هو ..

شعور غامض في أعماقي جعلني أترك جزءا من ذاتي خارج جدران هذا البيت .

أشعلت سيجارة وشرعت أفكر .. ما الذي جعلني أقحم نفسى في هذه القصة ؟ .. إنه ذلك الولع المجنون بالمجهول .. تلك اللذة الحريفة الكامنة في قصص جدتي عن الغولة والنداهة ، وكنت أتساءل : كيف تبدو هذه المخلوقات ؟ ! .. ولماذا!

اختار القلوكلور الشعبي لها صورة الأنثى .

ثم كبرت ويدأت أذهب للسينما .. وشاهدت (لون شانى) - ذا الألف وجه - (وفنسنت برايس) يلعيان دور الكونت الغامض شارب الدماء .

لكم فتنتنى شخصية (دراكبولا) .. ولكم حيرتنى .. ولكم أفزعتنى !

واليوم .. هأنا ذا قاب قوسين من حقيقة هذا الكابوس ، بل إن _ صدق أولا تصدق _ مومياء هذا الكونت ترقد في بدروم البيت الذي أنا فيه الآن ! .. بل إن موعد استيقاظها هو بعد ثلاثة أيام لا أكثر ! ماذا سيقول أصدقاء طفولتي في (المنصورة) لو عرفوا ما أنا فيه الآن ؟

الآن كل شيء معد .. دلو دم الخنزير .. الخفاش المحنط .. ورفقة اثنين من العلماء حادى المراج لا يهمهما سوى العلم أيا كانت نتائجه الوبيلة .

أضأت الأباجورة فوجدت جوار السرير مجموعة كتب ، وعلى السطح كانت رواية (برام ستوكر) الشهيرة (دراكيولا) ، لابد أن د . (ريتشارد) تعمد وضعها جوار سريرى لجعلى أعيش في (الجو) ..

أطلقت سبّة فى سرى ثم فتحت الرواية وبدأت أحداثها تجرفنى .. يا للخيال المروع العبقرى المريض ..! لكم أحسد مؤلفها .

كنت قد وصلت للجزء الذى يدخل فيه الكونت على ضيفه الغافل موثق العقود (جوناثان هاركر) وهو يحلق ذقنه .. وهنا يفكر الموثق : كيف لم أر هذا الرجل فى مرآة الحلاقة ؟ .. وتتصلب عينا الكونت على جرح فى عنق موثق العقود نجم عن الحلاقة ... و ...

كنت قد وصلت لهذا الجزء حين دق الباب فأجفلت .. ثم عدت لعالم الواقع، فنهضت للباب وفتحته ، كان القادم هو د . (ريتشارد) ..



وهنا يفكر الموثق: كيف لم أر هذا الرجل في مرآة الحلاقة ؟..

- ـ هل نمت ؟
- من الواضح أننى لم أفعل ..
- نظر إلى الرواية على الفراش .. وضحك :
 - إذن أنت تستعد لضيفنا ؟
 - ضيفنا؟ .. قلت في حنق :
 - تَبَّا لَهَا مِن رَاوِية !
 - ــ وماذا تعلمت منها ؟
- تعلمت ألا أحلق ذقنى أمام (دراكيولا) لنلا أجرح نفسى ، وعندنذ ..
 - _ وماذا أيضاً ؟
- تعلمت ألا أثق بالأشخاص الذين لا تنعكس صورتهم في المرآة! ..

انفجر د. (ريتشارد) يضحك ..! كان يرتدى الروب وتحته قميص وربطة عنق ، وقد بدا غاية في الأناقة والوسامة ، ثم أنه أشعل سيجارة ــ ولم يقدم لى واحدة كعادته ـ وجال بنظره في أرجاء الغرفة .

- لماذا لاتضع بعض الآيات القرآنية هنا وهناك ؟ أشرت إلى الكومودينو بجوار القراش ، إلى المصحف الصغير الذى أعطتنى إياه المرحومة أمى قبل أول سفر لى بالخارج .

_ ها هو ذا .. لكن بغرض القراءة وليس لحمايتي من مصاص دمانك ..

هر رأسه مؤيدًا .. ونهض في تثاقل متجها إلى الباب مارًا أمام المرآة المزخرفة المعلقة ... لا ! .. لابد أننى متوتر الأعصاب .. هل المرآة غير مصقولة أم أن الإضاء غير كافية ؟ أم أن هذا الرجل لايعكس ظلًا في المرآة بالفعل ؟!

التفت لي في اهتمام وسأل:

.. ما سر هذا الهلع على وجهك ؟!

هل أصارحه ؟ .. كلا .. كلا .

ـ لاشيء .. إنه مفعول روايتك لاأكثر .

فكر قليلًا ثم قال: ـ . (رفعت..) هناك شيء هام..

_ماهو؟

ـ شيء أريد عمله ولا أريد للدكتور (لوفارسكي) أن يعلم به ، هل تعدني ؟

_ أعدك ..

_ إذن البعنى إلى البدروم بعد عشر دقائق ..

وألقى سيجارته وانصرف في تؤده .

بمجرد أن خرج أغلقت الباب وهرعت للمرآة .. إن صورتى واضحة فيها ، ولكن .. ما أكثر ألاعيب

الضوء ! . رب زاوية انكسار كاملة تحيل الماء إلى مرآة ، فلماذا لا تتحول المرآة _ فى زاوية ما وإضاءة ما _ إلى سطح غير عاكس ؟ . .

وحتى إذا لم تعكس المرآة صورته ؟ .. ما معنى ذلك ؟ .. أنا لا أومن بالأشباح .. وحتى إذا طبقنا منطق الخرافة نفسها فلا توجد أى ضرورة لهذه الزيارة ، ولم يستتبعها شيء ..

لماذا يريد د . (كامنجز) لقائى فى البدروم ؟ .. طبعًا ليس للعب الورق ولا لمشاهدة مجموعة طوابعه .. وبالطبع ليس لامتصاص دمى، لأنى لا أومن بكل هذا الكلام الفارغ ..

ما الذي يريده من مومياء (دراكيولا) ؟ .. ما الشيء الذي لا يريد أن يعرفه د . (لوفارسكي) ؟ !

على كل حال مضت العشر دقائق ..

ارتدیت الروب وخرجت من باب الغرفــة قاصدًا البدروم .. ظلام الردهة ویقایا العشاء علی الماندة لم ترفعها مسز (کامنجز) بعد .

باب غرفة د . (ريتشارد) يفتح في بطء ..

ـد. (رفعت) ؟

ـ نعم ..

لاحظت أنه يتكلم بصوت عال .. فخفضت صوتى فى همس كالفحيح :

- ـ والآن هيا ..
 - ۔ هيا ماذا ؟
 - _ البدروم ..
- _ البدر .. هل أنت بكامل قواك العقلية ؟!

ماذا يحدث ؟ .. عم يتحدث هذا المخبول ؟ .. لكن وجهه كان جاذًا صارمًا لا أثر للدعابة فيه .. كلماتى اصطدمت بحاجز صلب بارد فسقطت مهشمة عند قدمى .

- _ ألم تطلب ذلك منى ؟
- _ دقيقة واحدة .. طلبت منك ماذا ؟
 - ـ النزول للبدروم! ..
 - متى ؟
- _ منذ عشرة دقائق في حجرتي ! ..

أعتقد أنه لابد من اختصار هذه المحادثة التى لابد أن أدركت فحواها ، هو يعرف ويؤكد ويقسم أنه لم يأت لحجرتى أبذا ، وأنا واثق تمامًا أنه كان عندى لسبب يعلمه الله وحده ، محادثة مملة كحوار الطرشان نتيجتها أن كلا منا اعتقد أن الآخر كاذب أو معتوه ..

_ هل تعرف یا د . (رفعت) ؟

قالها في غموض وهو يضيق حدقتى عينيه مستطردًا:

_ يبدو أن كلينا على حق!

_ كيف ؟ . .

- الأمسر واضح .. هناك من حاول استدراجك للبدروم .. لهذا زارك في صورتي .

- هل سنعود لهذا الهراء ؟ ..

- قل لى .. ألم تلحظ شيئا غير عادى في هـذا الزائر ؟..

فكرت لحظة ثم قلت بلا مبالاة:

- لاشيء سوى أنه .. لم يكن يترك انعكاساً في المرآة !

* * *

٦ _ مزيد من الألفاز ..

هل لك فى شريحة جامبون ياد .. (رفعت) ؟ سألتنى مسز (كامنجز) فى رقة ونحن جلوس حول ماندة الافطار ، هززت رأسى أن لا . فصبت المزيد من القهوة فى فنجانى قائلة إننى أبدو منهكًا ..

كانت ليلة شنيعة سيدتى ، زارنى أحدهم ، و .. وهنا أخرستنى نظرة شذراء من عين د. (ريتشارد) كى لاأسترسل فى كلامى ، غريب هذا!.. فى شمس الصباح كان ما حدث أمس بيدو ضبابيًا وسخيفًا ..

إن ما حدث ليلا هو دعابة لاأكثر ، أو هو على أقصى افتراض هلوسة شاذة نتيجة لقراءتى لقصة (برام ستوكر) الشنيعة.

بعد الإفطار دخلنا مكتب د. (ريتشارد) والتففنا حول صاحب الدار الذي أشعل سيجارة .. وقال مبتسمًا: __ أمس تلقى د. رفعت زيارة لطيفة ..

وحكى قصة الأمس لـد. (لوفارسكى) الذى أخذ يصفى وهو يرمقنى بعينين حادثين كالصقر .. فما أن انتهت القصة حتى ساد الصعت ، بعد دقائق قال د. (لوفارسكى) بصوت رتيب كالقضاة:

- أعتقد أن كل شيء يتوقف على د . (رفعت) .. سألنه في دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

قال في ثقة ؟

- لاغبار على قصة د . (ريتشارد) .. لكن قصتك تحتمل المناقشة !

غلى الدم في عروقي :

- هل تعنى أننى كاذب ؟

- لاياصديقي .. بل أعنى أنك واهم ..

هززت رأسى .. الواقع أننى - أنا نفسى - لم أعد واثقا من شيء .. كل ما رأيت كان ملموسنا وماديًا إلى حد مرعب .. لكنى لم أهلوس من قبل ، لربما كانت كل الهلاوس مقنعة هكذا ..

ثم .. تذكرت شيئا .. يالي من أحمق ! ..

- تعاليا معى إلى غرفتى ..

وفى غرفتى كان الفراش بحالته ، لأننى لاأرتب سريرى أبدًا عند الاستيقاظ .

_ تريان الآن ما أعنيه ..

وأشرت إلى رواية (برام ستوكر) المفتوحــة .. والمصحف الصغير على الكومودينو .. موضوعات حديثي مع زائر الليل ..

قال د . (ريتشارد) :

هذا لايعنى شيئا.. من الطبيعى أنك أقحمت فى هنوستك بعض الموجودات الحقيقية فى غرفتك.

_ وهذا ؟

نظرا إلى ما أشير إليه .. الدليل الدامغ على سلامة عقلى .. هناك على مشمع الأرضية كان عقب سيجارة محترق ، سيجارة من النوع الذى يدخنه د . (ريتشارد) ولايدخنه أحد غيره ..

قال د . (لوفارسكى) :

ـ شيء بسيـط أيهـا الشاب!.. لقـد قدم لك د . (ريتشارد) إحدى سجائره ..

- إنه لم يقدم لي سيجارة في حياته ! . .

- اسمع ياصديقى ..إن الحياة ملينة بالتعقيدات ولاتحتمل أكثر .. لماذا تملأ الدنيا صراخًا على ..

على عقب سيجارة ؟

صرخت في غيظ .

- أنا أقول إننى واثق أن شخصًا - أو شينا - اقتحم حجرتى ليلا ودعانى للنزول للبدروم ، وهذا العقب هو الدليل على صدق كلامى ..

ثم نظرت له د . (ریتشارد) ، متوسلا :



نظر إلى ما أشير إليه .. الدليل الدامغ على سلامة عقلى .. هناك على مشمع الأرضية كان عقب سيجارة محترق ..

- د . (ریتشارد) .. لماذا لا تقول انك كنت تمزح وتریحنا من هذه السفسطة ؟
 - _ تحشم أيها الشاب ! .. أنا لا أكذب ..
 - لكن التفسير العلمي الوحيد هو أنك تكذب.
- ـ أنا لا أسمح .. وأطالبك بأن تكون أكثر لياقة مع رجل في سن أبيك ..

واشتعلت الكلمات . وأظن أننى كنت على وشك ضربه أو هو على وشك طردى ، لولا أن تدخل د . (لوفارسكى) بجسده البدين بيننا مهدنا النفوس :

ـ يا سادة .. أرجوكما ! .. لقد نسينا شيئا .

توقفنا عن المناقشة ، كي نعرف ما سيقوله هذا اليهودي :

ما الذي كان على د . (رفعت) أن يفعله في البدروم ؟

- ـ لا أدرى ..
- _ ولا أنا ...
- _ إذن ننزل البدروم ونلقى نظرة .

ونزلنا للبدروم .. التابوت الكئيب الممل ورائحة العطن .. لا يوجد شيء جديد أو يستحق الاتتباه ، لا شيء يدل على شيء ..

يا لغرابة ما نحن بصدده .!

لقد بقى يومان على الموعد المشهود وما زال كل منا عند رأيه ، لكن علامات الاستفهام تتكاثر حول كل شيء . من سيضحك ضحكة الانتصار ليلة الأربعاء؟



٧ ـ زائـر الليـل ..

فى منتصف الليل صحوت على صوت زجاج يتهشم .. استغرقت دقيقة كى أفهم أين أنا، ومن أنا، وماذا أفعل فى الفراش .. ثم عشر ثوان أخرى أثب من الفراش حافيًا - وبالبيجامة - إلى باب الغرفة .. ثم إلى الطابق الثانى حيث سمعت الصوت .

هذه غرفة مكتب د . (ريتشارد) ، لا أحد هنالك لكن الستارة كانت تتموج في صمت في هواء الحجرة المظلمة مما دلنا أن اللوح المكسور هو هنا ..

أشعلت النور فلمحت شظایا زجاج على الأرض .. وبالطبع ـ كما هى العادة معى ـ دست على شظیتین بقدمى الحافیة فأطلقت سبّة .. وجلست علمى الأرض كى أخرجها .

ثم ..لمحت عيناي ...

هناك - خلف المكتب - كان شخص مختباً كى لا أراه .. الشخص الذى اقتحم النافذة الزجاجية بهذا العنف من أجل شيء لا أعرفه .. ولو جريت من الغرفة فقد لهاجمنى ؛ لذا تشاغلت بمعالجة قدمى وأنا أسب بصوت مسموع ، الدم يصفر فى أذنى والأدرينالين يرتفع فى دمى

وقبضتى تتوتّر ، ثم فى لحظة واحدة وثبت فوق المكتب والقيت نفسى على هذا المتلصص ..

تلقيت لكمة فى بطنى جعلت الهواء يخرج من فمى .. الا أنى تحاملت ورفعت ركبتى لأركله أسفل بطنه .. سمعته يئن ..ولكن من هو ؟

كان ملثمًا .. ولم أر سوى عينين باردتين كشتاء لندن ، رماديتين كضبابها ، وجهت لكمة قوية إلى أنفه خلف القناع حتى أننى شعرت بغضروف أنفه يكاد يتهشم .. ثم لكمة في صدره .

لم أكن رياضيًا في حياتي ، ولم يكن الكاراتي والجيدو والتايكوندو معروفين لجيلنا ، إلا أن كل إنسان يمكنه أن يقاتل بشراسة ، طالما وجد هدفًا قويًا .. وهل يوجد هدف أقوى من أن أمنع هذا المتعصب من قتلي ؟

والتحمنا في عراك طويل .. كان الوغد قويًا وشرساً لكنى كنت حانقًا وخانقًا مما جعلنى خصمًا مساويًا له تقريبًا .. وفجأة امتدت يده إلى شيء ما على المكتب، وانهالت فوق رأسي ضربة من جسم معدني ثقيل .. كلا..! لن أفقد وعيى ..! تحاملت .. لكن الأرض هي التي خذلتني !..

لابد أن فترة فقداني الوعى لم تزد على خمس دقائق ..

و على الأرض كانت أداة لتثقيب الورق ملقاة بجانبي هي التي حسمت المعركة السابقة ..

كان الغثيان يقتلنى لكنى نهضت .. جريت مترنحا للباب المفتوح ، ونزلت السلالم جريا إلى المكان الذى كنت أعرف أنى سأجده فيه ، البدروم ..

نعم .. كان هناك فى الظلام بجوار تابوت الكونت (دراكيولا) وقد أضاء الكشاف الكهربى ووضعه بجواره على الأرض ، وكان قد قرب وجهه من الكونت ، وهو يهمس بكلمات مالم أتبينها .. كأنها صلاة وثنية غامضة أو شيء من هذا القبيل ..

أه ! . . ألن ينتهى هذا الجنون ؟

صرخت صرخة أفزعتنى أنا نفسى .. ورفعت زجاجة ملقاة على الأرض ولوحت بها فى الهواء كالهراوة ثم انقضضت على هذا المدعى .. ولولا أنه أجفل لهشمت الزجاجة جمجمته فى ثوان .. وثب كالملسوع إلى الكشاف الكهربى فاطفأه .. ثم انهالت على لكماته فى الظلام ، إن هذا الوغد يرى فى الظلام كالوطاويط ..

وفى هذه المِرة لم أقاوم كثيرًا .

ظللت فترة ألهث فى الظلام ومذاق الدماء المالح يملأ فمى .. أعتقد أننى فى حاجة لاستعادة لياقتى فى المرة القادمة.

نور البدروم يُضاء .. د . (ريتشارد) و (لوفارسكى)



وكان قد قرب وجهه من الكونت وهو يهمس بكلمات ما لم أتبينها .

بثياب النوم وعيونهم منتفخة من أثر النعاس يحيطون بي .. صحت في سخرية مرة :

- أهنئكم على نقاء ضمائركم ..! إن الضجة التى أحدثناها كانت كفيلة بإيقاظ الموتى ، وأنتم لم تصحوا إلا الآن ..!

وشرعت أحكى ماحدث ، وما أن سمع د . (ريتشارد) قصتى حتى امتقع وجهه ووثب كالقط إلى غرفة المكتب ، وهنا جال خاطر مرعب فى ذهنى .. ماذا لو عاد _ كعادته _ من أعلى ليقول إنه لا يوجد لوح زجاج مكسور وأنى كنت أهلوس ؟

إلا أنه عاد بعد دقائق وقد بدا عليه الاهتمام وهو يحمل معه أداة لتثقيب الأوراق تلك التي كادت تهشم رأسي منذ دقائق .. وقال :

_ إنك كنت محظوظًا ياصديقي ..

أشرت إلى الزجاجة المكسورة الملقاة على الأرض وقلت:

_ والوغد كذلك محظوظ مثلى ..

د . (رفعت) إننا أناس متحضرون ، وأرى أن ماحدث لا ينبغى أن يمنعنا من ارتداء ثياب لائقة حتى نناقش الأمور في مظهر متمدين :

_ سنلتقى في غرقة مكتبى بعد عشر دقائق!

آه من هؤلاء الإنجليز! .. يريد منى حين أجد لصًا فى دارى أن أنهض من الفراش وأمشط شعرى وأرتدى ثياب السهرة ثم أذهب إليه وأنحنى كجنتامان قائلًا:

- سيدى .. إذا لم تغادر دارى خلال دقيقة أعتقد أننى سأصل بصددكم إلى قرارات خطيرة !

آه .. تبا ! . المهم أننى عدت لحجرتى وارتديت ثيابى ، وتأملت وجهى فى المرآة .. لم تكن هناك عاهات مستديمة والحمد لله ، ولكن ماذا سيكون تفسير هذين السيدين لمغامرتى القصيرة الفاشلة ؟

وفى غرفة المكتب حيث الستارة لم تتطاير .. سألت الرجلين :

- والأن .. ما قولكما ؟

قال د . (لوفارسكي) متحاشيا النظر في عيني :

- إذا أردت رأيى لقلت إن هناك أحداثًا غامضة لا يجمع بينها سوى شيء واحد .. في كل مرة إما أن نقابلك متجها للبدروم أو نانما فيه ..

قال د . (ريتشارد) :

- اننى أتساءل عن قصتك القادمة التى ستبرر بها نزولك للبدروم لبلا! .. صحت فى غيظ وقد بدا لى الرجلان شديدى السماحة والجيل

- وهل تظنان أننى أحب هذا البدروم العطن وتلك المومياء السخيفة ؟ .. هل أنا أكذب لأبرر عشقى الشديد للجلوس جوار التوابيت في الظلام ؟

لم يستطع د . (ريتشارد) أن يمنع ابتسامة على شفتيه إثر كلامي .. ورفع يده محاولًا تهدنتي :

_ أنا لم أتهم .. ولم أقل هذا .. ولكنى قلت إن هناك محاولة ما لجعلك تنزل البدروم وحدك ليلا .

_ إن هذا لم يدر بخلدى قط ، لكنه صحيح ..

- ولنفرض هذا .. فما المفروض أن يحدث هناك ؟ - هذا ما اجتمعنا للتفكر فيه ..

_ ولكن لماذا لا يكون زائر الليلة لصنًا .. لصنًا عاديًا ..

نظر لى د . (لوفارسكى) نظرة ذات معنى .. وقال : - اللصوص لا يجثمون جوار التوابيت ليتلوا صلاة غامضة .. أنت قلت هذا ينفسك ، هل تذكر ؟ ..

أضاف د . (ريتشارد) :

واللصوص لا يحطمون الزجاج بهذه الرعونة ، هذا
 اللص أحمق أو هو أراد أن تسمعه أنت ..

- واللصوص لا يدخلون البيوت من الطابق الثانى ما دام عندهم نوافذ الطابق الأول .

تنحنح د . (ريتشارد) ونهض إلى الستارة وأزاحها .. ثم قال : - هناك ما هو أغرب .. هل لاحظتم كسر الزجاج ؟ .. إنه مجرد فتحة صغيرة لا تسمح أبذا بمرور إنسان ..

نظرت في عينيه .. وقلت :

_ لكنها تسمح بمرور ..

نعم .. تسمح بمرور وطواط .. !

قال د . (لوفارسكى) :

- المزيد من الألغاز ..! هل تريدان رأيى ؟ .. أعتقد أن بعض الجماعات السرية أو عبدة الشيطان على علم بوجود المومياء لدينا .. وهم يحاولون سرقتها .

- لكن أحدًا لم يعلم ما نعلم نحن ..

- طالما علمنا ما علمناه من المخطوطات فماذا يمنع أن يعلم آخرون نفس الشيء ؟

- إن هذا يدعونا لمزيد من الحذر .. لم يبق سوى يوم واحد على كل حال .. فلندعه يمر على خير بأية طريقة ..

ثم هز إصبعه في وجهي .. وقال محذرًا :

 لا مزید من الزیارات الغامضة للبدروم لأن المرة القادمة لن تمر على خیر .. أرید أن تعود لمصر قطعة واحدة دون ثقوب!

ونزل الرجلان السلم فى حين تخلفت عنهما .. كنت أفكر .. ما دام اللص لم يدخل من النافذة فهو أحد المقيمين بالبيت .. وما دام قويًا فهو رجل .. وما دام ليس أنا فهو

أحد العالمين .. وما دام رمادى العينين قوى البنية فهو ليس د . (لوفارسكي) ، إذن هو ...

نعم .. إن هذا يتفق مع ما حدث بالأمس .. دائمًا هو د . (ريتشارد) في كل حادث غامض ثم يظهر ليؤكد لي أنني أهلوس ، لكن .. ما الذي يخفيه هذا الرجل ؟

إنه يداعبنى دعابة عملية قاسية أو هو مخبول تمامًا وهو شيء لاأستبعده .. إن من عاش حياته وسط هذا الهراء لابد أن يكون مخبولًا ..

ولكن لماذا أنا بالذات ؟ .. لأننى أصغرهم سنّا وأكثرهم رعونة .. ولأنه لم يزل يحمل احتقار المستعمر لأهل البلد الذي استعمره .. لم تكن ثلاث سنوات قد مضت منذ حرب السويس .. فهل هو ذلك الإنجليزي المتعصب الحاقد حقًا ؟ .. لا أفهم .

على كل حال لم يبق سوى يوم واحد .. وليس في جعبتي سوى الحذر والانتظار .

دخلت حجرتى وأغلقت بابها ، اتجهت للشباك وفتحته .. نظرت إلى أعلى .. إلى نافذة غرفة المكتب المكسورة .. خيل لى أن شيئا ما يخرج ببطء من فتحة الزجاج .. ثم تبينت ما هو .. كان وطواطا صغيراً سرعان ما فرد أجنحته مرفرفا ودار دورتين فى الهواء ثم اختفى في الظلام .. !

٨ ـ ليلة الأربعاء ..

تم إعداد كل شيء ..

وفى ذلك اليوم خرجت مع مسز (كامنجز كاترين) فى نزهة رائعة فى الريف الإنجليزى وتحدثنا عن كل شىء فيما عدا المومياء الموجودة بالبدروم، وقد خشيت أن ينزلق لسانى بشكل أو بآخر، لكنها كانت تعرف كل شيء فيما يبدو ..

عدنا للبيت عصرا فتناولنا وجبة لا بأس بها ، ثم دعانا د . (ريتشارد) إلى النوم لأننا سنقضى الليل ساهرين . وفي حجرتي غرقت في سبات عميق . .

ترانسلفانیا .. الشیطان .. دراکیولا .. د . ریتشارد .. سالی .. یهوذا .. دم وخفاش وقمر .. وخفاش ودم ... مائتا عام .. جنین الشر .. (دراکیولا) یدخل الغرفة .. جئت لاصطحبك .. کلا ... لیس أنا .. دعنی فرصة أخری .. أنا لست عزرانیل .. أنا مجرد مصاص دماء بائس .. نظرة یهوذا .. لیتنی کنت خفاشا یغرد فی الصباح .. کلا .. الخفاش لا یغرد .. کانت فلاحة ذاهبة للحقل فی قریتی .. حین ماذا .. لا أذکر .. لا تقترب منی ..

وللحظة لم أعرف أين أنا .. هل ظلام الغرفة حولى هو جزء من الحلم؟أم أننى أنا نفسى حلم، و لقد غابت

الشمس وقد جاء الليل، ولكن لماذا لم يوقظنى أحد ؟ ... وهنا أدركت ما أيقظنى ، إنه صوت خطوات غريبة تمشى في الردهة خارج الحجرة .. ثمة شيء مريب في هذه الخطوات .. إنها ليست خطوات إنسان يمر عرضا، بل هي خطوات واثقة متأنية تهدف إلى أن أسمعها أنا ! ..

بحذر مددت يدى للأباجورة بجوار السرير وفككت سلكها واتخذت منها أداة صالحة للضرب، وببطء اتجهت للباب. وهناك لشدة ذهولى _ تجددت الخطوات _ وتجمد الدم في عروقي .. صاحب الخطوات يقف الآن خلف الباب مباشرة!!

أهو (ريتشارد) ؟ أم (لوفارسكي) ؟ ولكن لم هذا التلصص ؟ مددت يدى إلى المقبض وفتحت الباب . وعلى ضوء الردهة الخافت وجدت خيالا مألوفا ..

ـ د . (رفعت) .. نقد حدث شيء .

- (كاترين) ؟ ماذا أتى بك هنا .. وماذا يحدث ؟ كانت شاحبة ترتجف ، وعلى عينيها الزرقاوين الجميلتين غشاوة متجمدة من الدموع لم تنحدر بعد ..

_ لا أحد هنالك :

ـ لا أفهم ..

ـ لا أحد هنالك .. كل غرفهم خالية ، مامـى ودادى و د . (لوفارسكى) ..



- (كاترين) ؟ ماذا أتى بك هنا .. وماذا يحدث ؟..

كل الغرف خالية!

_ كلهم ؟ .. وكم الساعة الآن ؟

_ الحادية عشرة مساء .

_ إذن بقيت ساعة على ميعاد نهوض المسخ .. لكن أين ذهبوا ؟ هل رحلوا ؟

هل اختبئوا في مكان ما ؟ . ولـم تركونـي أنـا وكاترين ؟ !

_ أنا خائفة يا د . (رفعت) .. لقد نمت نومًا عميقًا وحين نهضت لم أجد أحدًا ..

كانت ترتجف كالورقة .. فمددت ذراعى وطوقتها .. تحرك شيء في قلبى ، للمرة الأولى، فطنت إلى أننى عشت خمسة وثلاثين عاما من عمرى وحيدًا .. يا له من شعور غريب أن تكون مسئولًا عن إنسان ما . وأن يحتاج إليك إلى درجة البكاء .. أخذت بيدها ونزلنا إلى البدروم ..

كل شيء كما هو ... والتابوت المشئوم في مكانه .. ومومياء الخفاش ودلو دم الخنزير ... قلت لها :

_ أنت تعرفين ما كان مفروضًا أن يتم هذه الليلة ؟ .. هزت رأسها أن نعم ..

_ وتعرفين أن الموعد بقيت عليه ساعة ؟

ے تعم ۔۔

- هل بحثت عن الآخرين في البيت جيدًا ؟
- « وفى الحديقة ... وفى البدروم ... لا أحد ... لقد تركونا ... » أشعلت سيجارة وجلست على حافة التابوت مفكر [.
 - هل نطلب الشرطة بالتليفون ؟
- ليس لدينا واحد ، أقرب تليفون على بعد نصف ساعة مشيا .
 - رائع !!

وهنا ساد الظلام إلتام البدروم .. لقد انقطع التيار الكهرباني ويا له من وقت لانقطاعه ..

أشعلت شمعة كانت ملقاة على الأرض .. ظلانا ساقطان على الحانط كأنَ عملاقين يراقبان ما نفعله ونقوله ..

قلت وأنا أنفث دخان السيجارة:

هل تعلمین یا صغیرتی ؟ یخیل لی أن كل الخطوط
 تتلاقی فی نقطة واحدة ..

إرغامنا _ أنا وأنت _ على أن نكون المسئولين الوحيدين عن عودة هذا الشيطان .. هل نحن أصلح الناس لذلك ؟ هل يرى الشيطان فينا من الشر الخفى ما يؤهلنا لذلك بيراعة ؟

_ لقد صرنا مجبرين ..

هتفت كاترين في حنق:

- ولكن لماذا نحن مجبرون ؟ نستطيع أن نغادر هذا البيت الرهيب وبعد نصف ساعة نصل للعمران .. الدفء ، الأمان .

صرخت فيها:

_ كلا .. لو فعلنا هذا لظللنا للأبد نحترق بنيران الفضول الذى لا يرتوى ، ولظللنا نلعن جبننا ونتساءل سؤالا لإ إجابة عليه أبدا :

هل كان (دراكيولا) سينهض ؟

إننا ظاهريًا أحرار لكننا في الواقع مقيدون بأصفاد متينة من الفضول العلمي ..

نحن لا نستطيع إلا أن نستمر .. وسنستمر ..

_ ولكن .

ـ لا لكن .. لو ضيعنا الفرصة فلن تعود قبل مائة عام نكون نحن فيها قد شبعنا موتا .. نموت دون أن نعرف .

كانت صغيرة السن ولم تفهم كل كلامى ، لكنها لم تكن تستطيع أن تنصرف وحدها .. إن من دبر هذا الموقف لهو شيطان ذو عقلية جهنمية يعرف تمامًا أن من سيتعرض لهذا الاختبار هو لابد مستمر فيه ..

- وأين الأخرون ؟

لا أدرى .. ولا وقت الأن للإجابة عن هذا السؤال ..
 المهم هو أن نعد هذا المكان لاستقبال الكونت .

بقيت عشر دقائق على منتصف الليل . وأحضرت دلو دم الخنزير وقربته من التابوت ، ووضعت الخفاش المحنط على صدر المومياء .. ثم أطفأت الشمعة حتى لا تضايق سيد الديجور عند نهوضه ..

بعد سبع دقائق يتعامد المشترى على المريخ ، وينكشف وجه القمر من وراء الغمام .. ويعد سبع دقائق يعرف العلم إلى الأبد ما إذا كان السحر خرافة أم لا .. وما إذا كان القدماء واهمين أم لا .

أما أنا فكنت أردد كالمجنون بالعربية التى لا تفهمها : - لن ينهض هذا الشيء لن ينهض .. أنا واثق من هذا وإلا غدونا في موقف لا نحسد عليه .

بقيت أربع دفائق ... ثلاث ..



الساعة الآن الثانية عشرة والنصف ..

لم يحدث شيء . برغم الظلام الدامس، أرى حدود السجسد المسجى في التابوت، وعينى كاترين اللامعتين، وأشم رائحة الفورمالين، وأسمع دقات قلبي ...، لم يتغير شيء ..

كان كل هذا وهما ..

أشعلت الشمعة فى تؤدة فأضاءت المكان إلى حد ما .. وقد بدا لى الكونت مبتذلًا وسخيفًا إلى حد لا يوصف .. نفس الوجه والشعر المتآكل .. و ... و ...

- انتهى الأمر ..

قلت الكاترين لكنها لم ترد ، نظرة غريبة شاردة فى وجهها .. لقد حطمتها هذه التجربة ، لكن لم يكن لى مفر ، المهم الآن هو معرفة أين ذهب الأغبياء الآخرون ..

_ قد يكونون خرجوا لغرض ما ..أو هم مختبنون في دعاية سمجة ، أو ..

وأشعلت سيجارة ، غريبة رائحة الكبريت هذه .. كنت أحمل قداحة ، لهذا الدهشت للرائحة ، د . (ريتشارد كامنجز) الأحمى السذى أفنى حياته في ألعاب صبياتية ، وذلك اليهودى البدين ، وأنا الذي سأرجع للقاهرة محملا بذكريات باسمة لا أكثر .. رائحة الكبريت .

لم ترد ، وفجأة انفرجت تضحك في هستريا .. تضحك ... وتضحك في الظلام .. لقد جُنت المسكينة !.. ثم نهضت ، وهي تترنح إلى .. إلى داو الدم ومدت يدها فيه

وأخرجت أصبعها السبابة ملوثًا ، و ... لعقته في تلذذ .

- كاترين ، أيتها المجنونة ! ..

التفتت إلى بشفتيها الحمراوين وهمست في صوت ارد:

- أنت لم تفهم بعد أيها الغبى .. لم تفهم .

ما أغرب هذا الذى تفعله ، لقد جُنت تمامًا .. و .. التابوت ظل فى مكانه كل هذه القرون ممددًا به الكونت والصندوق العاجى على صدره .. لهذا بدت لى قصة د . (لوفارسكى) غير منطقية وملفقة ، لأنه لايمكن أن يقتل فى كل مرة ويعيدون تسجيته فى التابوت بنفس الوضع ..

- لن تفهم أيها الأحمق .

أسنانها تلتمع في الظلام ، وهنا فهمت كل شيء .. لم يحدث أبذا أن نهض (دراكبولا) من تابوته ، كانت الطقوس

تتم بجوار تابوته في كل مائة عام ، من ثم تنتقل روحه لتحل في أحد ممارس الطقوس ، يصير هو (دراكبولا) الجديد .. في حالتنا هذه كنت أنا و (كاترين) المختارين لهذا الغرض ؛ لهذا استبعد الآخرين بصورة ما .. والآن (كاترين) - بعد منتصف الليل - تغيرت كثيرًا جدًا .. (كاترين) شربت الدماء وتلتمع أسنانها الحادة في الظلام وتصدر رائحة الكبريت اللعينة ..

وأنا حبيس معها في البدروم ! . .

لقد فهمت كل شيء متأخرًا جدًا ..

ـ د . (رفعت) ، تعال وقبلني ..

صوت مغر قادم من عالم بعيد ، إذن هذا هو كل شيء . _ تعال ..

ولهذا لم أتحول أنا أيضًا ، لأنه لابد لمصاص الدماء الوليد من وجبة عشاء .. وبماذا يتعشى إذا غدوت أنا أيضًا مصاص دماء ؟!

وقبل أن أفهم أنا نفسى ماحدث ، أطلقت ساقى للريح ، جريت كما لم أجر فى حياتى ، خرجت من القبو . . الردهة . . مدخل البيت . الظلام الدامس جعلنى أصطدم منات المرات بأشياء مجهولة ، قلبى كاديث من حلقى . . الحديقة وضوء القمر يغمرها . .

ويدأت أركض .. أركض .. أركض .. ومن بعيد لمحت أضواء العمران ورأيت أناسا عاديين ..

* * *

خلال أربع وعشرين ساعة كنت قد عدت لبيتى السعيد فى (الدقى) بالقاهرة، قضيت أياما عديدة أتخيل . (كاترين) تهيم فى الفلاة المحيطة ببيتهم تبحث عن عابرى السبيل وتخيلتها تموت بوتد خشبى فى صدرها .. بعد شهور تشجعت وأرسلت خطابا إلى د . (ريتشارد) ـ أو إلى عنوانه على الأقل ـ فلم يصلنى أى رد ..

أرسلت ثلاثة خطابات أخرى، إلى أن وصلنى خطاب من مالك البيت الجديد يقول لى إن د . (ريتشارد) لم يعد يعيش هناك ، وأنه ارتحل إلى أستراليا مع عائلته، ولا يعرف عنوانه هناك ..

كم من ليلة سوداء قضيتها أستعيد ما حدث وأحلله. هل كنت واهمًا ؟ هل كان هذا حلمًا ؟ أم كان هذا حقيقة تتلخص ببساطة في أن الفتاة قد انهارت أعصابها بفعل التجربة الجهنمية ؟ أم كان هذا واتفا عشته حين حُبست وحدى في البدروم مع مصاصة دماء ؟ ..

لاأدرى .. ولن أدرى أبدًا .. هل قتلت (كاترين) بيد إنسان لم يتلوث ــ إنسان مثل أبيها ــ وهرب بعدها إلى أستراليا ؟ أم أنها قتلت ذويها في تلك الليلة وجاءت غرفتي تولول وتبكي أم أن الأمر كله دعابة عملية قاسية أجادوا حبكها..؟

أسئلة كثيرة بلا إجابة ، ولا أرجو لها إجابة .. كل ما أعرفه أننى لن أحضر أبدًا أي مؤتمر عن أمراض الدم .. ولن أذهب أبدًا إلى (يوركشاير) أو (أستراليا) .. وأيدًا لن أشاهد فيلمًا لدراكيولا ! ..

ـ شعرات عديدة شابت في رأسي وأنا أنتظر أن يصلني انتقام الكونت (دراكيولا) إلى بيتى في الدقى خاصة وأنا _ على ما أظن _ آخر من يعرف حقيقته ، وحزم ثوم علقتها خلف الشبابيك والأبواب ، وأوان فضية ، وآيات قرآنية .. لكن لم يحدث شيء والحمد لله إما لأن الله ستر ، أو لأني كنت واهمًا في مخاوفي ..

... وبعد سنتين من هذه الأحداث ، قابلت شيطانًا من نوع آخر في مكان آخر أنساني ما حدث تمامًا .. لكن هذه قصة أخرى ...

د . رفعت إسماعيل القاهرة ـ يناير 1997

* * *
 انتهى الجزء الأول (بحمد الله)



مرة أخرى أعرفكم على نفس : الدكتور رفعت اسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقًا بجامعة (...) وعدد لا بأس به من جامعات أوروبا وأمريكا ، السن يناهز السبعين .. عرب ، لأن حياتي الصاخبة لم تدع لي الفرصة أبذا كي أكون كالآخرين ..

لقد عرفت أشياء كثيرة .. فتحت تابوت الكونت (دراكبولا) .. صارعت المذءوب في رومانيا .. بحثت عن وحش (لوخ نس) في اسكتلندا ، قابلت رجل الثلوج الرهيب في التبت ، ولبيت نداء النداهة في غيطان الذرة المظلمة .. وعرفت (الزومبي) في جامايكا .

كل هذا سأحكيه لكم بالتفصيل في هذه السلسلة .. لكنى - مرة أغرى - أرجو من ضعاف الأعصاب ومرهفى الحس أن يمنتعوا عن القراءة، ويذلك يوفرون على أنفسهم ساعات من التوتر والهلع وخشية الظلام ..

اليوم أحكى لكم قصتى مع أسطورة الرجل الذنب ..



١ ـ بلد الأساطير ..

نظر (أستبان) إلى ذبالة الشمعة المحترقة وإلى وجوه الجالسين حوله ثم همس:

ـ يا رفاق .. إن المذءوب هو أحد الجالسين على هذه المائدة ! ..

* * *

قبل أن نصل إلى هذا الجزء، دعونا نعود بضع أيام إلى الوراء، إلى زيارتى لرومانيا للمرة الأولى فى حياتى، كنت فى السابعة والثلاثين من عمرى، وقد مضى عامان على مغامرتى الرهيبة مع الكونت (دراكيولا) .. وكنت أعتقد _ واهمًا كدأبى _ أن متاعبى قد انتهت للأبد وأن الوقت قد حان كى أنزوج وأكون أسرة صغيرة وأفتتح عيادة نظيفة بمجرد عودتى من هذه المهمة العلمية ..

فى إحدى جامعات كلوج قابلت الصحفى الرومانى (جوستاف فيكولسكو) .. وهو شاب شديد الذكاء يتمتع بروح دعابة قوية ، ويجيد الانجليزية كأهلها .. ومتبحر في الأدب والعلوم الانسانية ، وقد اعتبر نفسه مرشدًا لى في كل خطواتى ، وعلمنى الكثير عن رومانيا البلد الذي كنت أعرف عنه أقل القليل أو لا شيء على الإطلاق ..

- _ ما هي الديانة هذا ؟ ..
- _ إن غالبية السكان هم روم أرثوذكس ..
 - ـ والشيوعية ؟

ابتسم في تحفظ .. ثم همس وهو ينظر نظرة ذات معنى :

ـ يا رفيق .. إن الشيوعية لن تغير رومانيا .. إن رومانيا نسيج وحدها في أوروبا وهي لن تتبدل أبدًا .

رومانيا ـ كما قال لى ـ هى كلمة تعنى أرض روما .. لأن القائد الرومانى العظيم (ترايانو) قد فتحها وطرد البرير منها فى موقعة (داتشيا) سنة ١٠٦ ميلادية .. ومنذ ذلك الحين صارت ولاية رومانية .

ثم غزاها القوط، ومن بعدهم السلاف، في القرن السادس الميلادي .

- أعتقد أن السلاف هم من أعطاها طابعها المميز ؟ - إلى حد ما ، والأهم هو أنهم قسموها إلى منطقتين : (ترانسلفانيا) و (والاشيا) ..
 - ترا .. ترانسلفانيا ؟ . حيث قصر الكونت ..
- (دراكيولا)! .. نعم! ..إنها بلد خالد بالأساطير .. وأهم معالمه السياحية هو قصر الكونت (دراكيولا) ، يجب أن نزوره معًا .. فهو مكان مثير للخيال إلى أقصى حد!

يا لك من أحمق ! .. ماذا تعرف أنت عن هذا القصر وعن تابوت الكونت وعن خادمه .. وعن .. وعن ؟

- بل إن (ترانسلفانيا) هي أيضًا مكان قلعة (فرانكنشتاين) كما وصفتها مدام (ماري شيللي) !

- يا له من بلد جميل!

- المهم .. كنت أقول لك إن الأتراك غزوا رومانيا .. ودارت معركة كبيرة بينهم وبين (ستيفانو) الأكبر في سهول راكوأنا .. ثم تنازلت تركيا - الرجل المريض - عن أجزاء من البلاد للنمسا في صلح (باساروفيتش) ..

- ومتى إذن صرتم أحرارا ؟ ..

حدث الأمير المحدث الأمير الكسندر كورز) بعد الحرب العالمية الأولى ضممنا للبلاد (الكسندر كورز) بعد الحرب العالمية الأولى ضممنا للبلاد (بوكوفنيا) من روسيا .. ثم جاءت الحرب العالمية الثانية .. اسنولى الجنرال (أنطونسكو) على الحكم لصالح النازى ، وكان من جراء هذا أننا فقدنا (بوكوفنيا) مرة أخرى هي وأجزاء من (ترانسلفانيا) عادت للمجر ..

بعد الحرب صرنا دولة شيوعية تابعة للاتحاد السوفيتي ...

(كان هذا الكلام فى عام ١٩٦١ ولم يكن أحدنا يتخيل ما سيحدث أرومانيا _ وللشيوعية كلها _ بعد ثلاثين عاماً) ..

قلت له:

_ ولماذا تحبون الشيوعية ؟

مكره أخاك لا بطل! .. إن موسكو الا تترك لأحد فرصة الاختيار، أضف إلى هذا أننا كنا نريد أى تغيير بعد مظالم العهد البائد ..

_ هلا أعطيتني سيجارتك أشعل بها سيجارتي ؟

قدمت له سيجارة فأخذها .. وهتف :

_ أرأيت ؟ .. قبل سنة ١٩٤٧ كانت هذه جبريمة يعاقب عليها كلانا بالسجن !

ـ أية جريمة ؟

- إشعال سيجارة من سيجارة! .. كانت قوانين الاحتثار تحتم على المواطن استعمال عود ثقاب لهذا المغرض كي تروج تجارة الثقاب(*)!

أخذت أضحك .. فلم أتخيل من قبل هذه العبقرية فى تقييد الحرية الشخصية للإنسان ، يا للجهل البشرى ! قال جوستاف :

_ سترى الكثير من الأعاجيب في رومانيا .. عليك الآن أن تذهب لفندقك كي تستريح .. وسأراك غذا ..

* * *

^(🖈) حقيقة .

كانت جولة رائعة استغرقت أسبوعين، زرنا فيها جامعات (كلوج) وكنائس (بوخارست) العتيقة .. ودخلنا حانات (مامايا) على البحر الأسود، حيث روى لنا البحارة الأشداء قصصا مثيرة .. وزرنا ميناء (كونستاتا) أهم موانى رومانيا ، لكن ما أثر في أشد تأثير كان زيارتي (لترانسلفانيا) ..

- (ترانسلفانیا)هی حوض منخفض فی غرب البلاد تحده سلسلة جبال الألب الترانسلفانیة ، وإلی الشمال تجد مراکز صناعـة الصلب فی رومانیـا .. ثم منطقـة (الكریات) ..

_ هذا الاسم مألوف لي ..

- (الكربات) هي منطقة رعوية .. جبال متوسطة الارتفاع تكسوها الحشانش ، وفي الجنوب يجرى نهر الدانوب ..

- الأزرق ؟

لا يوجد دانوب أحمر فيما أظن! ..

وفى تلك الليلة زرنا قصر الكونت (دراكبولا) العتيق المتهدم، وكنت أذكر تفاصيله من الصور القوتوغرافية في المرة السابقة، لم أتمالك أن أرتجف وأنا أتخيل

د . (ريتشار) و (لوفارسكى) يتسللان ليلا لهذا القصر المتهدم كى يبحثا عن مومياء (دراكيولا) ، وتذكرت رعب أهل القرية من المرور جواره ..

إن هذا المكان ينبض بروح ما ، لا يمكن وصفها ..

قال لى (جوستاف):

- إن التراث الشعبى فى رومانيا ملىء بقصص الرعب ، والأمهات هنا يخفن أطفالهن بحكايات مصاصى الدماء والمذءوبين و (نوسفراتو)(*)

_ ولماذا في رومانيا بالذات ؟

_ إما أن هذا يعود لخصوبة الخيال المحلى .. وإما أن هذه المسوخ موجودة في رومانيا بالفعل! ..

* * *

^(*) الاسم المجرى لدراكيولا ..

انطلقت سيارة (جوستاف) في الطريق الوعر المتشعب والمطرينهمر بغزارة على زجاج النافذة في حين كان بخار الماء يتكاثف من أشداقنا على باطن الزجاج الدافئ ... فكنت أمسحه من أمامه بمنديلي من حين الآخر ..

ومن بعيد _ عبر الغابات الكثيفة المظلمة _ كان لسان من البرق يشق السماء من حين لآخر ليضىء الموجودات بلون أزرق بارد قاس ثم يختفى .. وبعد ثوان يدوى هزيم الرعد كأنما نجوم السماء يصطدم بعضها البعض ..

- إنها الكريفات ...
 - ـ الكريفات ؟ ..
- إنها ريح شتوية عاتبة تجتاح هذه المناطق .. وتحدث كارثة في المزروعات .. إنها وبال على الفلاحين هذا .
 - ـ يا له من فأل سيئ ! ..
- لا تبتئس يا رفيق .. أنت لم تر سوى رومانيا الباسمة ، وقد حان الوقت كى تراها حين تكثر عن أنيابها 1 ..

كنا نجتاز دلتا الدانوب في جنوب البلاد ، وكانت الطيور كلها قد فرت قبل العاصفة ، ولم يبق في الغابات المترامية إلا بعض النئاب تبحث عن مأوى ..

بدأ الجليد يتساقط رقيقًا ناعمًا لكنه فعال ، في ثوان نكتس الغابات بلون أبيض جميل ، وكنت لم أر الجليد في حياتي .. وقد خيل لي أنني أحلم .. فجأة يتحول المشهد إلى مسرح لقصة خرافية ما .. نعم .. لابد أن ينشط الخيال البشري في هذه الأصقاع .. لابد .

_ رائع !

_ هل تعنى أنك لم تر جليدًا قبل اليوم ؟

.. نعم ..

- ألم تقل إنك زرت انجلترا وفرنسا مرارًا ؟

ـ بلى .. كان ذلك دائمًا في جو صحو للأسف!

انفجر يضحك .. ثم اشعل سيجارة .. وهتف : _ إن دلتا الدانوب ملينة بالبجع والبلشون .. والدببة ..

والقهود ا

ـ فهود ؟

ـ طبعًا .. أنت لم تر رومانيا بعد يا صديقى .. ويبدو أنك سترى منها الكثير من الآن فصاعدًا ..

_ ماذا تعنى ؟

_ أعنى أنناً لن نستطيع الاستمرار في هذا الجو دون جنازير على العجلات .. بجب أن نتوقف ! ..

 \star \star

شرع (جوستاف) يتفحص خريطة الطرق .. ثم تمتم :

ـ أقرب مدينة منا هي (تورسفرين) لكنها على
مسافة لا بأس بها ، إلا أن هناك قرية صغيرة اسمها
(كرابوفسكا) على بعد عشر دقائق .. أعتقد أنها أملنا
الوحيد .. المهم هو أن نتحرك سريعًا قبل أن يتعذر ذلك ..

وافقته على كلامه لأن دمائى الحارة القادمة من وادى النيل كانت قد بدأت تتجمد فى عروقى ، كنت أرتدى بول أوفرين ومعطفًا وتحت بنطلونى ذلك السروال القطنى السميك الذى أهدته إلى المرحومة أمى حين ذهبت للإسكندرية أول مرة فى حياتى ، لكنى برغم ذلك كنت أرتجف .. وبدأ أنفى بسيل .. وأدركت أننى فى حالة سيئة .. سيئة ..

أعاد (جوستاف) الخريطة إلى تابلوه العربة ، ثم أدار المحرك عدة مرات .. احتبس فيها نفسي لا أريد التفكير فيما سيحدث إذا رفضت السيارة التحرك .. ثم انطلقت السيارة ، ومضينا صامتين لا شيء حولنا سوى الأشجار المغطاة بالثلج تلتمع في كشافات السيارة .. ومن بعيد كان نبب أو اثنان يجريان من طريق العربة .

⁽جوستاف) ؟

⁻ هم م م ؟

_ ماذا عن قضمة الصقيع ؟!

وقضمة الصقيع - إن كنت لا تعرف - هو نوع من الغنغرينا يصيب الأطراف في البرد الشديد ويؤدى لبترها ، قال لي ما معناه :

_ قال الله ولا قالك !

- أنا لا أمزح .. أنا لا أشعر بأصابع قدمي ! ..

_ على كل حال ليس الطقس بهذا السوء .. لسنا في (سيبيريا) فلا تتصرف كالأطفال ..

ظللت صامتًا وأنا ألعنه في سرى ، وألعن دلتا الدانوب ، وهذه الكر .. الكرفات أو أيًا كان اسمها ، وشرعت أتخيل نفسى عاندًا للقاهرة دون قدمين لأتسوّل جوار مسجد الحسين ، أو أتخيل نفسى ضحية لذناب رومانيا الشهباء التي لا تمزح .. هل سيكرمون ذكراى في كلية الطب ويسمون دورة المياه بها على اسمى ؟ .. دورة مياه الشهيد (رفعت إسماعيل) ! ..

فى ذلك الوقت لم أكن أعرف أننى سأعيش ثلاثين عامًا أخرى سليمًا معافى ، واليوم أتذكر ، فى كل مآزق حياتى _ وما أكثرها _ كنت فى كل مرة أعتقد أنها الأخيرة ، لهذا لم أستمتع ولم أتعلم . .

حين تدخل أنت بيت الأشباح في مدينة الملاهي أو فيلم رعب تكون على علم تام بأنك _ مهما رأيت _ ستعود

إلى بيتك سالمًا بعد هذا الفرع ؛ لهذا تعيش التجرية بأكملها ، أما أنا فلم أكن أعرف ..

والدرس الذى تعلمته _ بعد سنوات طويلة _ هو أن أفتراض فى كل مأزق أننى سأخرج منه سالمًا من ثم أحتفظ بوضوح وترتيب فكرى ، إن الهلع لايجدى .. والموت هو ميعاد مكتوب لن يغيره حذرى ولارعبى ، فإذا جاء .. فلأمت كرجل مبتسمًا واثقًا ..

لكنى لم أكن أفهم هذا وقتها !..

ومن بعيد لاحت أضواء القرية .

كانت الساعة العاشرة مساء .. والشوارع مغطاة بالثلج ، والظلام شبه تام فيما عدا بعض الأضواء خلف النوافذ المغلقة ..

وارتحفت حين تخيلت الأسرة الملتفة حول المدفأة .. والطعام ..

- الآن علينا أن نجد خانا ..

وأمام لافتة خشبية بضيئها مصباح ترجَل (جوستاف) من العربة.. ثم قرع الباب بقبضة نحاسية معلقة جواره .. وصاح باللغة الرومانية بشيء ما ، فرد عليه من الداخل صوت فظ يقول شيئا آخر ، حين تسمع لفة لاتفهمها يخيل إليك أن الكنمات تجرى بين شفاه أصحابها



قرع الباب بقبضة نحاسية معلقة جمواره .. وصاح باللغة الرومانية بشيء ما ..

بسرعة لايمكن متابعتها ، (جوستساف) يصرخ والصوت يصرخ .. ماذا هناك ؟

عاد إلى وهو يسب ويلعن - بالرومانية - بألفاظ أعتقد أنها مشيئة للغاية ، ثم فتح باب السيارة وجلس جوارى .

_ الخنزير لايريد أن يفتح لنا ..

ـ ولمه ؟

ـ لاأدرى .. قال إننى أستطيع أن أشكوه لمكتب القنادق أو للحزب نفسه لكنه لن يفتح ..

_ ريما يظننا لصوصا ؟

- كلّا إن رعاة الدانوب ودودون جدًا .. ولكن هذا الرجل .. لاأفهم .. وأدار محرك السيارة ، وعدنا نجوب شوارع القرية المكسوة بالثلج صامتين .. بعد دقائق سألته :

_ (جوستاف) ؟

.. نعم ..

_ هل الليلة مناسبة دينية عندكم ؟

_ لاأعتقد .. ولماذا ؟

لا يوجد بيت في هذه القرية إلا وغرس صليبًا حديديًا أمام بابه !.. ألم تلحظ هذا ؟!!

* * *

وصلنا للكنيسة العتيقة في القربة .. آخر أمل لنا في المبيت .. نزل (جوستاف) من العربة واتجه نحو باب الكنيسة الحديدي الصدئ وصفق بكفيه .. ولم يفته أن يشير لصليب حديدي مغروس في الجليد أمام الباب .. ونظر إلى نظرة معناها: أنت على حق فيما لاحظت ..

بعد دقائق تحرك ضوء مصباح ، وانفتح الباب الصدئ في حذر عن وجه ملىء بالتجاعيد ، كان هذا هو القسيس .. لحيته البيضاء ونظراته الطبية السميكة فكرتاني بقساوسة الروم الأرثوذكس الذين عرفتهم في الإسكندرية ، تحدث معه (جوستاف) بكلمات مقتضية فهز رأسه استنكارًا ودعانا للدخول ..

أغلقت خلفى باب السيارة ووثبت إلى الداخل وأنا أرتجف بردًا . صعدنا سلالم متآكلة إلى غرفة واسعة رحبة .. وكانت هناك .. مدفأة ! اللهب الأحمر العزيز يتراقص مرحبًا بنا .. وكانت هناك سيدة عجوز جالسة تحيك التريكو جوار المدفأة .. قدمها لنا الأب بكلمات لم أفهمها ..

فقال (جوستاف):

_ الآنسة شقيقة الأب (أنطونيسكو) ..

وكانت هناك بعض كتب الصلاة على مائدة خشيية على عتيقة ، وشمعدانان .. وعدة أيقونات ، كانت غرفة قديمة لكنها نظيفة مريحة و .. دافئة !

جلسنا أمام النار شاعرين أن اللهب ينفذ عبر عظامنا ليذيب النخاع بداخلها ! . . أما الأب (أنطونيسكو) فنهض إلى زجاجة صغيرة صب لنا منها شيئا في قدحين من الخزف . . وقدمه (لجوستاف) ولى . . نظرت إلى (جوستاف) في تساؤل فقال :

- روم ساخن ليجري الدم في عروقك ..

اعتذرت له وناولته الكأس ليشربها بدلًا منى في حين شرح هو الأمر للأب:

_ مسلم . .

قالها بالرومانية كما ننطقها نحن بالعربية .. فنظر إلى الأب في مودة :

- آها !.. مسلم ؟ -- آها الله

ودارت محادثة قصيرة أدركت مقادها بالطبع .. من أين أتيت أنا وكيف ؟ وماذا أفعل في هذا الركن المشنوم من العالم في هذا الزمهرير بينما بلدي هو أجمل وأدفأ بلدان الأرض ؟! .. لو كنت أجيد الرومانية لقلت له إنني مجنون أيها الرجل الطيب .. مجنون .. ومعتوه .. وأبحث عن حتفي ..

جاء العجوز فى تؤده حاملة وعاء تفوح منه أبخرة زكية .. ورغيفين طويلين .. وطبقًا به بعض شرائح اللحم ، أشار القسيس إلى اللحم ولى وقال كلامًا ما لم احتج لمجهود كبير كى أعرف معناه ..

قال (جوستاف):

_ يقول لك إن هذا اللحم ..

ـ .. ضأن .. وليس لحم خنزير .. أليس كذلك ؟

_ وكيف عرفت ؟

إن لغة الإيماءات والنظرات عالمية باصديقى .. لو أنك شاهدت فيلمًا باللغة البنغالية لفه ت ثمانين في المائة من قصته دون جهد ..

وعلى المائدة جلسنا نرشف الحساء الذى لاأعرف ما هو وإن كنت أميل بعد تذوقه إلى الاعتقاد أنه حساء أحذية .. وكانت تسبح فيه أشياء مرعبة لكنه كان ساخنا وهذا يكفى !

على حين جلس (جوستاف) والقس تبادلان حديثًا لم أفهم حرفًا منه .. سيل من الشينات والخاءات ينهال فوق رأسي ويكاد يطير المائدة بما عليها .. هل اللغة الرومانية خشنة إلى هذا الحد ؟ عينا القس تتسعان خلف نظارته وهو يضغط على مخارج الحروف .. و (جوستاف) يبدو غير مصدق وإن كان قد توقف عن المضغ مما دلنى على أن الأمر أثار اهتمامه إلى حد ما ، الأب يرسم علامة الصليب ..

_ عم تتحدثان يا (جوستاف) ؟..

نظر إلى في تهكم .. ثم قال :

- خَمَن ! .. ألست خبيرًا في الأفلام البنغالية ؟! .. الإيماءات ياصديقي .. الإيماءات !

_ حسن .. لا تمزح ! .. هناك معتقد ما يؤمن به الأب ويخشاه كثيرًا لكنك لاتصدقه .. وإن كانت القصة قد بدأت تؤثر فيك ..

_ حسن .. أنت على حق .

- ولأكون أكثر دقة .. يقول لك إن الشيطان أو روح الشر - أو شيئا من هذا القبيل - يتجول فى القرية هذه الليلة المشئومة لهذا أغلق السكان بابهم وغرسوا الصلبان على الأبواب ، وإنه يسأل الرب أن يحفظنا هذه الليلة ..

نظر إلى في شك .. وتساءل:

_ قلت إنك لاتعرف حرفًا من الرومانية ؟

ـ بالقعل .. لكنها الإيماءات كما قلت لك .. ثم إن القصة هي دائمًا هكذا .. تعلمت ذلك من قصص (إدجار آلان بو)(*) 1..

_ وهل أدركت من الإيماءات أيضًا أنه مزق رجلين أمس ؟

... من هو ؟

_ إنه (بيلاسكو) المذعوب .. أو بمعنى آخر ، الذنب الذي كان رجلًا ..



^{(*) (}إدجار آلان بو) الشاعر الأمريكي العبقري .. كتب أرق قصائد الحب مثل (آنابيل لي) وأفظع قصص الرعب مثل (قناع الموت الأحمر) و (الحشرة الذهبية) و (سقوط منزل آشر) .

صحت في ذهول:

_ هل .. هل تتحدث عن أسطورة الرجل الذي يتحول الى ذنب حين يصير القمر بدرًا ؟

قال في تشفّ إذ نجح أخيرًا في إثارة فضولى.

- إن رومانيا هى موطن هذه الأسطورة .. وبالتحديد سهل الدانوب ، وللمزيد من الدقة الجغرافية يبدو أن موطنها هذه القرية للأسف!

ثم ابتلع ملعقة من حسانه .. ودعانى بإشارة إلى أن أواصل الأكل .. لكن ما أكلته كان قد تحول في معدتي إلى قالب من الطوب .. خرافة أخرى تلاحقني في هذا الركن من العالم كأني الوحيد المؤهل لهذه المهام القذرة ..

قلت:

ـ لكن القمر كان بدرًا البارحة .. المفروض بحسب الأسطورة أن يسود الهدوء والسلام القرية بعد ليلة البدر الصاخبة ، ويعود المذءوب إنسائا ..

تبادل بعض كلمات مع الأب (أنطونيسكو) ، ثم التقت إلى :

_ ثلاثة أيام ..

_ إذن يظل المذءوب يعيث فساذا في القرية ثلاثة أيام .. هذا كثير ..

راذن فليلة باكر هي آخر ليالي هذا الشهر ..

_ أظن هذا ..

وشرعت أنهى حسانى على حين استمرت المحادثة بين (جوستاف) والقس ، التفت إلى (جوستاف) ، قائلا :

- قلت للقس إنك لاتصدق حرفًا ..

- (جوستاف)! إن هذا لايليسق .. إن آرائسسي الخاصة ...

ـ وهو يدعوك أن تزور الحانة باكرًا لتسمع ما سيقوله الرجال هناك ..

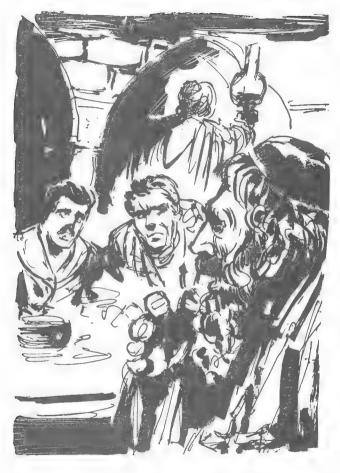
_ ولكن اعتذر له .. أنا لم أقصد .. يا لك من ...

وعادا للحديث مرة أخرى .. وسمعت كلمة (نوسفيراتو) عدة مرات .. ثم أشار إلى القس ضاحكًا ..

- إنه يسألك عن مغامرتك مع الكونت (دراكيولا) .. نظرت إليه في غيظ ، وقلت :

قل له إننى اقتربت من القصة بشكل مروع .. لكنى
 حتى هذه اللحظة لست واثقًا من شيء ، قد تكون كل القصة
 سلسلة من الأوهام ، وقد تكون دعابة قاسية شربتها حتى
 الثمالة .. لكنى أعرف شيئا واحدًا ..

لم أجد أى دليل مادى على أن مصناص الدماء عاش أو يعيش في هذا العالم .. وإن موقفى من الخرافات لم ولن يتغير .. كل ما لايرى ولايسمع ولايشم ولايعقل هو غير موجود ، هذا هو رأيى في أسطورة (دراكيولا) ..



وعادا للحديث مرة أخرى . . وسمعت كلمة (نوسفيراتو) عدة مرات . .

قال (جوستاف) مصحَحًا:

_ (نوسفيراتو) !.. إنهم يفضلون هذا الاسم هنا وفي بولندا والمجر ..

- نعم .. هم على حق .. فهو يبدو محببًا للنفس !.. عادا يتحدثان عشر دقائق .. ثم التفت إلى (جوستاف) قائلًا :

_ يقول الأب إنك مخطئ ! . .

يالبلاغة هذه اللغة ! . . ربما استغرقت ساعتين كى أقول له كلمة مساء الخير ، تشاءبت فقال الأب شيئا ماللسيدة . . فقامت على الفور تحمل مصباح الكيروسين . . واقتادتنا في تؤدة إلى غرفة صغيرة بها فراشان نظيفان . . وقالت شيئا ما هو _ بلاشك _ كلمة مساء الخير بالرومانية ، وعلى الفراش ارتمينا بثيابنا لأن حقانبنا كانت في السيارة ولأن أحدنا لم يكن مستعدًا للنزول في الصقيع والظلام كي ينعم بالنوم في بيجامة .

... وغرقت في نوم عميق

... غريب هو عواء الذناب في هذه القرية .. صوت قوى متحشر ج أليم كأنه إنسان يتألم في أعماق الجحيم .. أيقظني هذا العواء ثلاث مرات بعد منتصف الليل .. فكنت أردد آية الكرسي وأعاود النوم متخيلا ذلك الذنب البانس الذي يمشى الآن في الظلام والثلوج ، باحثًا عن فريسة !..

في الصباح خرجنا - أنا و (جوستاف) - نسير في القرية ..

_ أول شيء هو أن نجد ما يلزم للسيارة كى نواصل الرحلة .. ثانى شيء هو أن نذهب للحانة _ كما قال الأب _ فقد نجد شيئا يهمك .. أو يهمني أنا ..

وعند جراج القرية توجه (جوستاف) إلى رجل بدين يكسوه الشحم والعرق ويصرخ ، تحدث معه صديقى فواصل الصراخ .. ثم عاد إلى .. قلت باسما :

- كلهم في هذه القرية يصرخون ويرفضون طلباتك .. قال في صرامة :

- لامجال للمزاح .. إنه يقول إن الكريفات سدت كل الطرق بالثلوج ..

وخط التليفون الوحيد مقطوع فلم يستطيعوا استدعاء. كاسحات الثلوج ..

ـ وهذا يعنى ..

- نعم .. بالصبط .. يعنى أننا سجناء في هذه القرية حتى يذوب الجليد !

* * *

فى الحانة طلب (جوستاف) بعض الروم له وقهوة لى ، وجلسنا وسط بحر من الشوارب الكثة السلافية ونظرات الشك .. ورجال مفتولو العضلات زادهم الفراء الذى يرتدونه ضخامة .. وكلهم تقريبًا مسلحون ببنادق ضخمة عتبقة ..

- كلهم هنا من الرعاة .. وحياتهم خشنة إلى حد لا يُوصف ، ثم يجدون أنفسهم أمام فتاتين رقيقتين مثلى ومثك!

قالها (جوستاف) وهو يرشف قدحه في حين انكمشت أنا في مقعدى وسط هذا المناخ غير المرحب ، اقترب منا صاحب الحانة فأخرج (جوستاف) حفنة من اللايات (*) دسها في قبضته .. وقال شيئا ما ، من ثم تهلل الرجال طربًا وشرعوا يحتسون الروم في مرح مرعب ..

إنها تلك الحيلة القديمة : كل مشاريب (الجدعان) على حسابى .. من ثم تزول الكراهية والحواجز البشرية فى ثوان .. اقترب منا رجل قوى البنية وشد كرسيًا على ماندتنا وصافحنى أنا و (جوستاف) بيد كادت تهشم أصابعنا ، وقال :

- _ (استبان) ! . . استبان هیرشوفتش . .
 - ـ (جوستاف نيكولسكو) ..
 - _ (رفعت إسماعيل) .

سأله (جوستاف) عن شيء ما بالرومانية .. فشرع الرجل يفكر ، ثم بدأ يحكى قصة مروّعة طويلة وهو ينن

^(*) اللاي : عملة رومانيا .

من حين لآخر ، ثم تهافت .. فأحاط (جوستاف) كتفه بذراعه ، وقال :

- إنه فقد صديقه أول أمس .. تذكر صديقه هذا أنه لم يغلق حظيرة الأغنام من ثم ترك زوجته وطفليه وخرج في الظلام .. بضع ثوان لكنها كافية .. سمعت زوجته صرخة مريعة ، وحين خرجت مسلحة لترى وجدت زوجها ممزقًا على الأرض وجواره آثار أقدام ذئب ..

والآخر ؟.

- إنه عبيط القرية (كونستانتين) ..

_ وهل حدث شيء ليلة أمس ؟

- لاشيء فيما نعلم .. كنا نحن المرشحين لنيل هذا الشرف لو لم يستضفنا القس ..

صحت في حنق :

- إذن تركنا هؤلاء الجبناء ولم يفتحوا أبوابهم بغرض ترك وجبة عشاء مضمونة للرفيق (بيلاسكو) .. يالهمن ذكاء !

عاد يتحدث مع الراعي .. ثم التفت إلى :

- يقول إن أحدًا لم يفتح بابه لنا لأن المدعوب يستطيع الكلام بصوت البشر أحيانا مقدماً أعدارًا مقنعة ، ومن رأيه أن الأب (أنطونيسكو) اقترف جريمة في حق نقسه وحق أخته حين أدخلنا ببته أمس !

_ هذا لطف منه!

وأفرغت فنجان القهوة في حلقي .. ثم سألت :

- قل له من هو هذا المذعوب ؟ . . هل يعرفونه ؟

ـ يقول إنهم لو عرفوه لقتلوه .. لكنه أحدهـم بالطبع ! .. ثم أنهم قتلوا مذءوبين كثيرين من قبل ..

ـ ماذا؟ .. هل هم كثيرون ؟

- _ طبغا ! . . هناك دائمًا واحد . . الأسطورة تقول إن من يجرحه المذءوب يتحول لمذءوب جديد في الشهر التالى ، كأنه وباء . . فإذا قتلت المريض الأول بقى المريض الثاني . .
 - وحين تقتله يكون قد ابتلى العالم بثالث ..
- ـ وهكذا .. سلسلة طويلة منذ القرون الوسطى إلى يوم الدينونة ..
 - وكيف يقتلون المذءوب ؟ . .
- ـ الأمر يقتضى إغماد نصل فضى فى قلبه بالطبع وهو فى صورته الآدمية ؛ لأنه وهو ذنب يكون فى أقوى حالاته .. يمكنه اقتلاع شجرة من جذورها بكل سهولة ..
 - ـ وكيف يعرفون وهو أدمى أنه هو المطلوب ؟

عادا يتحدثان .. وأشار (أسبتان) إلى رجل يرتدى ثيابا قذرة وأصلع الرأس ، فجاء الرجل ، طلب منه شيئا ما .. فأخرج الرجل من سترته لقافة وألقاها على المائدة وهو يرمقني في شك ..

- يقول (أستبان) أن كل إنسان في القرية يعرف أنه إذا هاجمه المذءوب عليه أن يحاول إحداث إصابة ما به .. فإذا نجا بعد ذلك بدأنا في البحث عن صاحب هذه الإصابة .. ويتم إعدامه بنصل من الفضة ..

_ وهذه اللقافة ؟

- هذا الرجل يُدعى (إيدو) .. هاجمه مذءوب في الشهر الماضي بين الأحراش .

وقد استطاع أن ينتزع منه مخلبًا ثم فر بجلده .. في الصباح وجد في جيبه بدل المخلب شيئا آخر .

_ مثل .. بعض الشيكولاته مثلا ؟

فتح (أستبان) اللقافة ببطء .. كان إصبعًا مجعدًا .. اصبعًا آدميًا يحيط به خاتم ذو فص أزرق ..

لم يحتج (إيدو) لجهد كبير فى البحث عمن فقد إصبعه فى القرية .. بل هو لم يحتج حتى إلى ترك بيته .. إن هذا الخاتم هو خاتم زوجته !!



صحت في ذهول:

_ ياللهول!

قال (جوستاف) وهو يبلع ريقه:

_ هذا هو ما يقولونه .. أنا لاأصدق لكن قصتهم محبوكة إلى حد مرعب ..

قلت في حنق:

_ وطبعًا قتل زوجته بنصل فضى ..

ـ طبعًا ..

- وهكذا يستطيع أى سفاح أن يقتل زوجته ويقطع إصبعها ثم يخرج ليصيح فى القرية أنه اكتشف أنها مذءوبة وأنه نفذ فيها قصاص السماء !

التفت (جوستاف) بشكل تلقاني إلى الرجلين لينقل لهما وجهة نظرى ، فصرخت:

- لايا أحمق ١.. لن نخرج أحياء من هنا !

فتوقّف عن الكلام .. لكن الرجلين خمنا ما قلت أو كادا .. اللعنة على لغة الإيماءات هذه ! .. ولمحت نظرة غضب في عيني (إيدو) .. وتحسّست يده القذرة نصل خنجره المعلق في حزامه . _ أهنئك على حماسك في الترجمة ! . . حاول أن تغير الموضوع . .

وعاد (أستبان) يتحدث بصوبه العميق الغليظ، في حين حزم (إيدو) لفافته وأعادها لجيبه وهو يرمقني بنظرة نارية ..

قال (جوستاف):

منذ عام نجح (ستيفانو) فى قطع رجل مذءوب بفأسه .. فى الصباح تحولت الرجل المخلبية المشعرة إلى رجل إنسان ، وفى نفس اليوم وجدوا ابن العمدة وقد فقد ساقه فى حادث .. بالطبع نقذ أبوه الحكم بنفسه ..

_ باللبشاعة !..

- المذءوب الجديد (بيلاسكو) لم يستطع أحد حتى الآن أن يحدد هويته أو يحدث به إصابة ما ..

وفي هذه اللحظة وقعت عيناى على .. على أروع مارأيت في حياتي !

إن الكلمات لن تنجح فى التعبير عن وقع كل هذا الجمال على روحى .. أحتاج إلى لغة أرق وأكثر جمالاً .. ربما هى الموسيقا ، فتاة سوداء العينين والشعر والملابس تقف جوار (أستبان) وتنظر إلى في رقة نظرة ثابتة أذابتني من الخجل ..

قالت (لأستبان) شيئا ما فرد عليها بفظاظة .. ياله

من و غد !.. وقال (لجوستاف) شيئا آخر وقد بدا عليه الاشمئزاز.

قال (جوستاف):

- هى (إيكاترينا) ابنة صاحب الحانة .. قالت إنها تريد إخبارك بشيء لكن (أستبان) زجرها وقال لها إن النساء يصمتن حين يتكلم الرجال ..

- الوحش !

ثم قكرت قليلًا .. فخطرت لى فكرة .

_ (جوستاف) ..قل لى .. بالطبع فى هذه الحانة مكان للمبيت .

_ طبعًا .. ككل حانة قذرة في العالم ..

_ إذن قل لصاحب الحانة إننا نطمع في المبيت عنده .

لكن لماذا ؟.. هناك الخان .. والكنيسة ، و ...

ـ لا! .. أريد المنبيت هذا ..

.. هل سال تعابك عند رؤية أول فتاة في القرية ؟ ... إنها ليست

لم أزعم هذا لحظة .. فقط أريد أن أكون جوارها في هذه الليلة .

ليلة مسخ الذنب ..

ـ يالها من رومانسية ! . . كم أنتم ملتهبو العواطف يا أبناء البحر المتوسط !

ونادى صاحب الحانة وأخبره برغبتى .. فهر هذا الأخير رأسه مرحبًا .. وأشار إلى أن أصعد معه سلالم خشبية نخرة إلى ..إلى أقنر حجرة رأيتها في حياتى .. منتهى البؤس والفقر والضعة .. حتى دورة المياه كانت عبارة عن جردل صدئ جوار الفراش الذي لم يكن أفضل حالًا ..

- والآن اسمع يا رفيق (رفعت) ..

- أعرف ما ستقول .. الذهب أنت ونم في الخان أما أنا فياق !

- لقد وجدت مصيرك ! ..

قالها وهو يبصق على الأرض التى لم تزدها بصقته قذارة فى الواقع .. وعلى الباب استدار ليسألنى سؤالًا أخيرًا ..

- والترجمة ؟

ثم هز رأسه مستدركا :

- أه ! .. نسبت لغة الإيماءات والنظرات !

وأغلق الباب قبل أن أرد عليه بما يناسب وقاحته! جلست على الفراش وتأملت المكان في اشمئزاز .. هل أنا مراهق إلى هذا الحد؟ أم أنه حافز خفي جعلني أفعل

ما فعلت ؟..

دق الباب فوثب قلبي في فمي .. تخيلت يدها النحيلة

الحساسة الباردة تدق الباب لتقول شيئًا ما بالرومانية يقتلني قتلًا ..

فتحت الباب ملهوفًا فوجدت صاحب الحانة البدين يضحك لى كاشفًا عن أسنانه النخرة .. أرق ابتسامة استطاع أن يرسمها على وجهه .. أعوذ بالله ! .. ناولنى منشفة ممزقة وصابونة ملوثة بالشحم ثم انحنى ليوحى إلى أن الخدمة ممتازة .. وانصرف !

واضح تمامًا أنه هو الدي سيرعاني في هذه الغرفة ! ..

كانت الساعة الآن الثانية ظهرًا .. لم يكن هناك داع للإضاعة اليوم كله في حظيرة الخنازير هذه ؛ لهذا أزمعت أن ألحق (بجوستاف) في الحانة بالطابق السفلي كي نقرر ما نفعله بقية اليوم ..

الباب يدق ثانية .. لاشك أن الوغد سيعطيني هذه المرة فأرا ميتًا لوجبة الغداء .. اتجهت إلى الباب وفتحته فرأيت (إيكاترينا)! ..

ولكن قولوا لى .. هل يوجد أجمل ولا أنقى من هذا ؟ _ جنت .. أقول ..

هن أنا أحلم أم أنها تتحدث الإتجليزية ؟ .. إنجليزية ربيئة في الواقع لكنها مفهومة ..

- أنت .. بالذئب .. تهتم ؟

ـ أنا نعم ..

خيل لى - لا أدرى لماذا - أنها ستفهمنى أكثر لو تحدثت بلغة إنجليزية ركيكة وهو رد فعل تلقانى نتخذه حتى فى العربية حين يحدثنا أحد الأجانب بلغتنا ..

ـ النب .. هو هنا ..

۔ أين ؟

- في .. الحانة .. هذه ! ..



هل أنا أحلم أم أنها تتحدث الإنجليزية ؟.. إنجليزية رديئة فى الواقع لكنها مفهومة ..

قالت وهي ترتجف كالورقة :

- أنا هاجمنى من شهر .. فى المخزن يفعل .. أنا .. أهرب .. أنا أجرح ذنب .. هو .. جرح فى رأس .

إنها قصة مشوقة ! .. إذن لقد هاجمها المذءوب الشهر الماضى وقد استطاعت أن تفرّ وأن تجرحه فى رأسه ، وهكذا حين أشرق النهار كان هناك واحد مجروح الرأس تعرفه هى .. وهو الآن يشرب الخمر فى الطابق السقلى من الحانة ! ..

- ومن هو ؟ ..

هو . لا أعرف . يلبس .

_ غطاء رأس ؟

ـ نعم .. نعم .. غطاء رأس ، (استبان) يلبس ..

(میلو إنستادت) ینبس .. (کوثار یلبس) .. (جورج) .. (ستیفانو) .. رأس ..

- هذا طبيعى يا صغيرتى ، فى هذا الطقس حتى الشيطان نفسه يلبس غطاء رأس ..

- لا .. لا .. هو .. هم أبدًا يخلعون لا ..

هل فهمت هذا الجزء؟ .. إنها نقطة هامة .. من الطبيعي أن الرعاة يشربون ويسكرون ويتشاجرون ..

نكن هناك خمسة لم يحدث طيلة الشهر الماضى تحت أية ظروف أن استطاعت رؤية رجوسهم عارية ، هذا التشبث المريب بتغطية الرأس أثار شكوكها ...

فكرة ذكية .. لكن هناك حقيقة لا يجب تناسيها ألا وهى أن الفتاة مخبولة .. مخبولة تمامًا ! .. إذا تغاضينا عن جمالها وضعفها ورجفتها ..

ـ تساعدنی هل أنت ؟

- نعم يا صغيرتى .. أساعتك أنا سوف ! .. لكن كيف أتخلى عن قناعاتى وثقتى بالعلم لأضع ثقتى فى قصتك الملفقة عن جرح الرأس .. القصة التى ستؤدى إلى ذبح أول مسكين يتصادف أن عارضة الشباك ضربت رأسه أو قذفه طفل شقى بقالب طوب ؟

ريت على كتفها مطمئنًا .. وأوصلتها للباب فخرجت وهي ترسم علامة الصليب ..

نزلت إلى الحانة .. الطابق السفلى فوجدت (جوستاف) جالسًا على مائدة مع (استبان) وقد صار ثملًا تمامًا ، جلست على نفس المائدة ومضيت أتامل وجوه الرجال الخشنة وهم يصخبون ويمزحون مزاحًا فظًا سمجًا كله لكمات وشتائم ، أحدهم هو المذءوب كما قالت هي ..ولكن من هو ؟ .. أي أسماء ذكرتها ؟ .. إن هذه الأسماء لا تعلق بالذاكرة .. (جورج) قالت .. (وستيفانو) .. ثم .. ثم .. (كثار) .. كلا .. (كوثار) .. ثم (ميلو) .. بقى واحد ، (إستبان) الجالس على هذه المائدة معنا .. تأملته وتأملت وجهه المشعر وهو يتحدث مع جوستاف ، مفهوم تمامًا أن تعتقد الفتاة أن هذا الرجل مذءوب .. فهو لا يحتاج لأنياب ومخالب كي يغدو مرعبًا .

ولكن كيف ولدت أسطورة المذءوب ؟ .. إن نفس النغمة تتكرر بشكل أو باخر في رائعة (ر. ل. ستيفنسون) (الدكتور جيكل والمستر هايد)، الرجل الطيب الشريف الذي يتحول في ظروف معينة إلى شيطان مفترس .. هل هي فلسفة إنسانية ما تتحدث عن أن لكل منا جانبين : أبيض وأسود ؟!

هل هى محاولة ساذجة لتفسير حالات الاتفصام التى يتحول فيها الشخص إلى نقيضه دون سبب واضح ؟! .. على كل حال فالفكرة مفزعة ولا أنكر هذا لحظة .. وأعتقد أن تحول (جوستاف) أمام عينى إلى مسخ ذنب لكفيل بجعلى أخرَ ميتًا دون أن أنطق بحرف ! ..

الساعة الآن الخامسة مسأء ..

اقتربت من (جوستاف) - ورائحة الخمر من فمه تكاد تقتلني - وقلت له :

1.0

- _ مل هناك طريقة ما تجعل هؤلاء الرجال يخلعون أغطية رءوسهم ؟
 - _ ماذا ؟ !
 - ــ أريد رؤيةً رءوسهم عارية ! ..
- هل جننت ؟ .. أولًا قررت فجأة المبيت هنا .. والآن
 تريد رؤية رءوس الرعاة .. إن الصقيع ...
- _ لا .. لا .. لم يتجمد مخى ، أرجوك افعل شيئا! ..
 - ـ دعنی أفكر ..
- _ يمكنك مثلًا أن تدعوهم لشرب نخب ما وأن يخلعوا قبعاتهم في صحة هذا النخب
- _ هل تمزح ؟ 1 .. لسنا في ناد بلندن .. إن هؤلاء السادة أبعد ما يكونون عن الرقى ..
- _ إذن فلنحضر أيقونة أو شيئًا مقدسًا لنجيرهم على خلم أغطية رءوسهم تحية له ..
 - _ إنهم لا يعرَون رءوسهم في الكنيسة نفسها ..
 - إذن ..
- وهنا نهض (جوستاف) مترنحًا حاملًا الزجاجة في يده .. وقال :
 - _ هناك طريقة أسهل وأضمن ..
- وصاح بالرومانية بشيء ما .. فتعالت صيحات

الدهشة .. ورأيت كل العيون تنظر إلى في كراهية أو احتقار أو شك ! .. وصاح أحدهم مستنكرًا ..

- ماذا قلت لهم أيها المعتوه ؟

- قلت لهم ما تريد دون لف أو دوران .. قلت لهم إن السيد القادم من مصر يرغب - بعد إذنكم - في مشاهدة رءوسكم عارية !!

- يا لك من أحمق !

لقد كان ثملًا .. ووضعنى فى موقف ليس محرجًا فقط بل هو خطر على حياتى أيضًا .. كلهم ينظرون إلى وقد كوروا قبضاتهم .. هناك من اعتبرها إهانة وهناك من اعتبرها نزوة ، واحد فقط اعتبرها حماقة وهناك من اعتبرها نزوة ، واحد فقط ـ بلا شك ـ أدرك أننى أعرف كل شيء !

اقترب (إستبان) منى وهو يرمقنى بنظرة نارية .. ثم ضرب المائدة بقبضته ، وشرع يصرخ بكلام كثير أدركت بصعوبة أنه موجه لى ..

قال (جوستاف):

- إنه يقول إنك رقيع وسمج وابن ...

- أنا أفهم هذا الجزء! ..

قلتها وأنا أرتجف ..

- ويقول إنه يطلب تفسيرًا ..

ابتلعت ريقى .. وتحاشيت نظرات الرجال النارية ، وقلت :

_ قل له أن يجلس لأشرح له ، بشرط أن يكون هذا دون أن يسمعنا أحد ..

نقل له (جوستاف) معنى كلماتى ، فتوقف لحظة يرمقنا في شك وكراهية .. ثم حزم أمره .. فالتفت إلى الرجال وأمرهم بشيء ثم إنه سحب كرسيه وجلس على المائدة أمامي ...

وفى عبارات سريعة نقلت له ما قالته لى الفتاة فى غرفتى .. وقلت له إننى أشك فيه .. وإننى أطالب بكشف الأوراق قبل أن يحل الليل ..

قطب جبینه ورشف جرعة من زجاجة (جوستاف) ثم مسح شاربیه بظهر یده المشعرة .. ومضی یحدق فی وجهی فترة ثم نهض .. وصرخ بأعلی صوته فی الرجال ..

_ (ستيفانو) !!

فأتى له شاب على شيء من الوسامة يربط رأسه بمنديل قذر ..

- (كوثار) !!

نهض رجل بدين قصير القامة من مقعده وجاء لمائنتنا ..

_ (ميلو إنستادت) !

فأفاق (ميلو) من إغفاءته القصيرة على مائدة البار وجاءنا وهو يصلح غطاء رأسه المصنوع من فراء الثعالب ..

- (جورج) اا

فَجاء شَابُ ملتح يضع على رأسه عطاء من الجلود ، التفت (إستبان) إلى باقى الرجال وقال شيئا فساد التوتر .. ونهض أحدهم لكى يظلى الباب .. باب الحانة .. ويدأ الرجال الذين ناداهم يشمرون عن أذرعتهم .. فقد فهموا أنه ناداهم لكى يفتكوا بى ! وهو أمر وارد بالنسبة لى لأن كلامه الكثير بالرومانية قد يكون معناه : أن هذا السيد يقول إنكم مذءوبون فغنوا بثأركم منه !

التفت (إستبان) إلى وقال كلامًا ما .. ثم أشار إلى الرجال ليجلسوا حول المائدة .. ثم شرع يتكلم يصوته العميق ضاغطًا على كل حرف ..

قال (جوستاف) مترجِمًا:

- إنه يحكى ما قلته أنت .. ويقول لهم يا رفاق .. إن المذعوب هو أحد الخمسة الجالسين على هذه المائدة .. إن إنه يدعوهم لكشف رعوسهم ويقسم إنه سيفجر رأس من لا يفعل برصاص بندقيته ..

وفى بطء واستسلام بدأ الرجال يعرون رءوسهم .. الصمت بسود المكان .. والحلوق جافسة تتسرقه ما سيحدث . تعرّت أربعة رءوس .. ثم فى حركات درامية مدّ (استبان) يده لغطاء رأسه وانتزعه ووضعه على المائدة أمامه .. لو كانت الفتاة كاذبة _ فى موضوع الجرح _ فسأكون فى موقف عسير ..

كانت كل الرءوس سليمة ..

رأسان فقط هما رأسا (ستيفانو) و (مليوانستادت) كان بهما جرح .. جرح قطعى طويل مغطى بخصلات الشعر ، صاح الرجال في إثارة .. في حين أخذ الرجلان يصيحان في هلع بكلمات ما .. طبعًا كل منهما يشرح لهم أين وكيف أصيب بهذا الجرح .

عاد (استبان) يتكلم .. إن هذا الرجل قوى الشخصية وله نفوذ هائل في قومه ، صبحات الموافقة تتعالى في حين ازداد الرجلان تعاسة .. نظرت إلى (جوستاف) ـ الذي جرفته الأحداث فلم يعد يترجم ـ متسائلا، فقال: _ يقول (استبان) إن الموقف صار أكثر وضوحًا .. وإننا سنجلس كلنا هنا طيلة الليل حتى يتحول أحد الرجلين إلى مذءوب .. وأن السماء هي التي ستحسم القرار ..

_ ولكن كيف يقتل المذءوب عندنذ ؟

- أول علامات التحول هى احمرار حدقتى العينين .. وهو سيراقبهما كالصقر بانتظار أول بادرة من أحدهما عندنذ سيذبحه بسكين الفضة قبل أن يكتمل تحوله !

* * *

أخذت الدقائق تمضى بطيئة مملّة ونحن جالسون فى الحانة ملتفون حول (ستيفانو) (ومليو انستادت) وهما عاريا الرأس باكيان يرتجفان ..

الدقائق تمضى .. بطيئة ..

فجأة صاح أحدهم بشيء ما .. فالتفت الجميع إلى (ميلو) ..

ـ يقولون إن عينيه احمرّت !

بالفعل كانت عيناه محتقنتين بالدم .. لكن الاحمرار كان في الملتحمة .. بياض العينين .. وهذا - بالطبع - نتيجة لكثرة البكاء مع كل الحرارة والدخان والجو الخانق المحيط به ..

- لكن هذه ليست حدقته .. إنها الملتحمة .

- وهل تتوقع من هؤلاء الرعاة معرفة الفارق التشريحي بين الحدقة والملتحمة ؟...

إنها عين حمراء .. وهذا يكفى ! ..

تصايح الرعاة في حماسة وقد صرعتهم نشوة الموقف في حين تجمد (ميلو) في مقعده وقد بدا عليه هلع لا يوصف .. كالفأر الذي وقع في المصيدة ويرى ألا داعي لإضاعة لحظاته الأخيرة في المقاومة ..

شعرت بالغثيان .. وبأننى على وشك إفراغ معدتى ، فتحاملت على نفسى متجهًا للباب .. نادانى (جوستاف) :

.. ماذا هنالك يا رفيق ؟

ـ قىء ! ...

_ والمذءوب ؟

_ ألستم تحتجزونه هنا ؟ ..

وفتحت الباب الخشبى .. وفي الخارج .. كان الجليد وهواء الليل البارد .. شعرت أنني أحسن حالًا ، لكن في أعماقي كان شعور من الندم على كل هذا الذي تسببت فيه .. ربما أدت حماقتي إلى مذبحة .. لكن كان هذا هو الحل الوحيد الذي وجدته لإنقاذ حياتي أنا من المأزق الذي أنت بي إليه حماقة (جوستاف) .. وطبعًا كانت حماقة (إيكاترينا) هي التي بدأت سلسلة الحماقات هذه التي ستودي إلى ذبح (ميلو) أمام عيني ..

كان صخب الرجال يتعالى داخل الحانة خلف النافذة .. وكنت أدرك أن على أن أجد مخرجًا ما .. ولكن ما هو ؟! .. لا أحب أن أرى إنسائا يموت لأنه أصيب بالتهاب في الملتحمة .. ولكن كيف أمنع ذلك ؟

وهنا سمعت صوت زئير وحشى .. رفعت رأسى فرأيتنى أمام المذءوب!!



وهنا سمعت صوت زئير وحشى . . رفعت رأسي فرأيتني أمام المذءوب !!

هل سقط أحدكم في قبضة مذءوب من قبل ؟ ! .. إن النين عاشوا هذه التجربة يمكنهم تجاوز هذا الجزء .. أما سعداء الحظ الذين لم يحدث لهم هذا قلهم أقول إنها تجربة شنيعة ! .. أن ترى أمامك كاننا عملاقًا يرتدى ثيابًا بشرية لكن وجهه وجه ذئب ضخم .. ويداه مخالب ذئب .. وصوته صوت ذئب .. ويقف على قدميه ، عيناه حمراوان كالدم .. وفمه مفتوح يكشف عن أنياب بيضاء لامعة .. وصدره يموج بصوت حشرجة جهنمية ، وهذا الكانن يهاجمك أنت !!

ماذا تفعل ؟ ! .. ستصرخ .. لكن أليست هذه صرخات نهاية أكثر منها صرخات استغاثة ؟ .. حاول أن تهرب فوق الجليد المنزلق لكنه حتمًا أسرع منك ، حاول أن تركله أو تضربه لكنه صلب كجدار ..

ستسقط على الأرض متكورًا وهو يجشم فوقك كالكابوس ومخالبه تمزق لحم وجهك .. وبقوة يانسة توجه له لكمة قوية في عينه الحمراء .. فيصرخ .. وينهض من فوقك .. وفي اللحظة التالية يحيط بك الرعاة وقد خرجوا من الحانة على ضوضاء المعركة...

... ويفرّ هذا الوحش بين الثلوج ...

هذا هو بالضبط ما حدث لي ! ..

وفى داخل الحانة أجلسونى ومسحوا وجهى بخرقة مبتلة .. وقدموا لى شيئا فى قدح شربته قبل أن أسأل ما هو ، أحاط (جوستاف) كتفى فى لهفة .. وسألنى :

_ ماذا حدث ؟ _ هو ! ..

ــ من . .. ــ (بيلاسكو) ؟

_ نعم ..

ـ يا للسماء! .. إذن هو ليس (ميلو) ؟!

_ وهل شككت أنت في ذلك ؟ !

_ إذنٍ من هو ؟! ..

ـ لا أدرى .. لكنى لكمته لكمة رهيبة كادت تفقأ عينه اليسرى ..

استدار (جوستاف) للرعاة وشرع ينقل لهم كلامى ، بدت معالم الخلاص على وجهى الشابين المتهمين .. فى حين أخذ الكل يثرثرون فى حماسة .. غذا بالطبع سيكون يومًا وبيلًا على كل من تلقّى طوبة أو ضربة على عينه اليسرى .. لكنهم ما زالوا يرمقوننى بنظرات الشك والتحفز ، (استبان) يشير إلى ويقول شيئا متشككا .. (جوستاف) يصرخ فيه بحماسة نافيًا ذلك الشيء .. ماذا ؟

_ ماذا هنالك يا (جوستاف) ؟

- لا شيء .. يرون التخلص منك الآن ! ..

_ ماذا ؟

_ قبل أن تقتل أطفالهم ! ؟

ـ أنا .. ؟ .. كيف ؟

في الشهر القادم .. حين تتحول إلى مذءوب! ..

- مذعوب ؟ .. كيف ؟

نظر إلى نظرة ذات معنى .. وهمس :

_ إنه جرحك في وجهك عدة جروح .. ألم تلحظ ذلك ؟!

* * *

جلست فى مكانى أصغى للمناقشات والصراخ وأنا أفكر .. من الغريب أننى بالأمس فى نفس الوقت لم أكن أعرف شيئا عن قصة المذءوب ، أليس غريبًا أننى قد انغمست ـ خلال أربع وعشرين ساعة ـ فى المشكلة إلى حد أننى أنا نفسى فى طريقى لأكون مذءوبًا ! .. يا له من تقدم !!

كنت أعرف تمامًا أن القصة لا حظّ لها من الصحة .. وأن هذا الذي واجهني في الخارج هو شيء له تفسير علمي ، لكن المشكلة العاجلة الآن كانت هي مواجهة هؤلاء الحمقي المسعورين الذين لا يريدون سوى الدم .. بصعوبة .. غم سك ه الدن .. استطاع (حمستاف) أن

بصعوبة _ رغم سكره البين _ استطاع (جوستاف) أن ينقذ حياتى بأن أقنع الرعاة أن يتريثوا .. وأن يرفقوا بى ، مع التأكيد على أن الشهر القادم لن يشهدنى في القرية ولا فى رومانيا كلها .. بل سأكون فى مصر حيث أنكب وادى النيل السعيد بأسطورة الرجل الذنب .. أى أن رومانيا ستصدر عدوى المذءوب إلى إفريقيا كلها !! تكفى هذه الاثارة لليلة واحدة ..

وفى تؤدة نهضت ، وفى خطوات ثابتة صعدت السلالم فلم يعترض طريقى أحد .. اتجهت لغرفتى القذرة .. وخلعت حذانى وارتميت فوق الفراش وأنا أشعر به يعلو ويهبط .. يا له من يوم ! ..

الباب يفتح في صرير بطيء .. فليكن هذا هو المذءوب أو الشيطان نفسه .. فلن أستطع النهوض ولا المقاومة .. إذا كان يريد افتراسي فليفعل دون أن يوقظني .. هذا صوت (إيكاترينا) الناعم ..

_ هل شيئا تريد .. سيد ؟

قلت وعینای مغمضتان:

ب لا يا ملاكي .. لا .. شد .. شيء .

أُغلقتُ الباب وخرجت .. ثم فتحته وأدخلت رأسها الأسود الصغير :

- شكراً .. من أجلى .. سيد ...

وخرجت ..

الفراش يموج بى .. لكم أنا مُتعب ..

* * *

نور النهار يدخل من الشباك ، أفتح عينى وأحرَك أطرافي شاعرا بالقوة التي منحنى إياها نوم الليلة

الهادئ .. لقد غسلنى هذا النوم من الداخل .. وإننى الأن لصافى الذهن إلى حد مفزع ..

نهضت إلى حوض الغسيل القذر .. وغسلت وجهى ، واختلست نظرة إلى المرآة المكسورة ، كان هناك جرحان قطعيان طويلان على خدى الأيسر ، ولكنى طبيب ولا يمكن خداعى بسهولة .. من قال إن هذين الجرحين هما آثار مخالب ذئب ؟ ..

انفتح الباب خلفى .. ورأيت الظّل المحبب الذى فتننى (إيكاترينا) تحمل فى يدها صينية عليها أشياء ما ، المفروض أنها تؤكل ، ثم وضعتها على المائدة خلفى والتفتت إلى دون أن ترفع وجهها ..

- هذا .. إفطارك هو .. سيد ..

كان شعرها الأسود منسدلًا على جبينها .. لهذا نهضت واقتربت منها وبأناملي داعبت ذقنها الصغيرة ، هتفت في حرج باسم .

- أرجوك .. لا .. سيد .. أنا لست ...

أزحت الخصلة المنسدلة على جبينها .. هذا هو ما كنت أبحث عنه .. والآن يا ملاكى أنت فى مأزق مرعب ، وإنك لساذجة إذا ظننت أن انسدال شعرك يمكن أن ينقذ موقفك .

قلت في إنجليزية رصينة وأنا أضغط على كل حرف: ـ (ايكاترينا) ؟ ..

?

ـ ما سبب هذه الكدمة حول عينك اليسرى ؟!!

٨ .. مطاردة الذئب ..

صاحت في ارتباك وهي تعيد الشعر لتغطى عينها:

أمسكت معصمها في حزم ونزعت خصلة الشعر ..

لا ياصغيرتى .. إننى أنا الذى وجهت لك هذه الضربة أمس .. حين كنت تلعبين دور المذءوب! .. وتكفل الظلام والرعب بجعلى أتخيل قوة غير عادية لك ..

- أنا .. لا أفهم .. سيد ..

- ثم الجروح فى وجهى .. لا يمكن أن تحدثها مخالب أى حيوان .. بل هى آثار أداة قاطعة رفيعة كنت تمسكينها فى قبضتك لتحدث تأثيرًا ..

الدموع تملأ عينيها .. وكيانها كله يرتجف .. و ...

وهنا أنفتح الباب ورأيت أباها صاحب الحانة يدخل ، نظرة متشككة إلى الموقف برمته القاها علينا .. ثم تصلبت عيناه على وجه (ايكاترينا) .. وبالذات على .. عينها اليسرى ، ثم فجأة بدت عليه علامات الفهم ! .. أشار إليها وهتف شيئا ما .. ثم إنه اندفع خارج الحجرة وهو يردد نفس العبارة مرازا .. لا يحتاج المرء لكثير ذكاء كى يعرف أنه يقول : المذءوب هو ابنتى .. المذءوب هو ابنتى !!

التفت، إليها وصحت:

- أرجوك ! .. لا وقت للتفسير ! .. اهريس الآن ! ..

ـ لكن ..

اهربى! ... إن هؤلاء الأوغاد متعطشون للدماء ،
 وستكون أسعد لحظة فى حياة أبيك هى عندما تتاح له
 الفرصة للتضحية بك لإثبات ولائه للجماعة! ..

ــ لكن ...

- لن يقهموا شيئا عن مرضك النفسى .. وسيلقون بك أرضًا ويقتلونك بسكين من الفضة .

ـ لكن ..

- هيا .. اذهبى إلى الأب (أنطونيسكو) فى الكنيسة واطلبى اللجوء .. واعترفى له بكل شىء .. أما أنا فسأحاول أن أنقذ الموقف ، سأشرح لهم .

وهنا تعالى صوت الرجال فى الطابق السفلى .. صيحات الغضب والثورة ، إنهم قادمون فقد ناداهم المخبول ، فى سرعة ودون تردد أمسكت يدى (ايكاترينا) وفتحت الشباك ـ برغم الثلوج المحيطة به ـ وفى رفق ساعدتها على الانزلاق على طبقة الجليد العالية تحت النافذة .. ثم أشرت إليها أن تجرى .. نظرت إلى لحظة فى تردد .. ثم أطلقت ساقيها للريح ..

ودخل الرجال الحجرة وقد بدا الشر في عيونهم، وقالوا ما معناه «أين هي » بالرومانيسة ؟ فأشرت للناغذة ، عندئذ أسرعوا بالنزول على السلالم لملاحقتها ولم يفت (استبان) _ بالطبع _ أن يفتش الحجرة عدة مرات قبل أن يصدق إشارتي ، ثم نظر إلى نظرة شك .. ولحق بالرجال .

وجدت نفسى وحيدًا فى الغرفة وربما فى الحانة كلها .. فتحت الباب .. وتفقدت المكان حولى .. كانت هناك حجرتان فى نفس الطابق كلتاهما مغلقة الباب ، سرت فى تؤده إلى الباب الأول وعائجت مقبض الباب الصدئ .. فوجدتنى فى غرفة صغيرة نظيفة نسبيًا .. على الفراش قطعة من نسيج الكانافاه لم تتم .. وعلى المائدة فى وسط الغرفة زهرية ورد رقيقة بها زهور ذابلة لا أعرف اسمها ، كل شيء يدل على أنها غرفة أنثى .. (إيكاترينا) على وجه الخصوص .. ثبابها ملقاة فى إهمال على كرسى خشبى جوار الفراش .. ثم ديوان شعر مكتوب بحروف سلافية لا تعرف حتى الوضع الصحيح للإمساك به .

كان تصرفى وقحاً وطفيلياً لكنى كنت أريد أن أعرف .. لهذا مددت يدى المرتجفة الباردة إلى حشية الفراش وقلبتها .

كان هناك كيس قماش كبير مربوط بعناية ، فتحته

ومددت يدى فيه فشعرت بشىء كالفراء وأشياء كقطع بلاستك مدببة ، قلبت الكيس على الفراش فوجدت ما توقعته ..

هناك ـ على الفراش ـ ارتمى رأس المذءوب الذى هاجمنى أمس .. قناع مصنوع باتقان غير عادى يكسوه الفراء .. والعينان حمراوان مضيئتان لكنهما تسمحان للابس القناع أن يرى من خلفهما ، وكان الفك السفلى الملىء بالأنياب متحركا ، تحفة فنية حقيقية ..

وجوار القناع كان قفازان من الفراء مزودان بالمخالب، ثم شيء يشبه حزام النجاة في السفن والطائرات .. عبارة عن أداة لتضخيم حجم الصدر والأكتاف حين تلبس تحت الثياب ..

ئم - والأهم - أداة قاطعة دقيقة ، ومجموعة سكاكين مختلفة الأحجام يمكنها تمزيق فيل

وأخيرًا صورة شمسية صغيرة لشاب وسيم حليق الوجه يبتسم في بلاهة .

الآن أفهم كل شيء .. (إيكاترينا) هي (بيلاسكو) المذءوب الذي دوّخ القرية وأفزع رجالها حتى الموت . هي أعدَت هذه الثياب المتقنة لنفسها .. وشرعت تخرج في كل ليلة مقمرة بحثًا عن التعس الذي يوقعه حظه العاثر



هناك _ على الفراش _ ارتمى رأس المذءوب الذى هاجمنى أمس .. قناع مصنوع بإتقان .

فى قبضتها ، ومع كل الرعب والمفاجأة لم يكن أى واحد على على استعداد للدفاع عن نفسه .. لم يحاول أى واحد على الإطلاق أن يفعل .. وفى الظلام كانت تمزقه بالسكاكين التى تخفيها معها .. ثم تفر وتعود لدورها الأصلى .. ابنة صاحب الحانة الرقيقة ، ومن حين لآخر تخبر المغفلين أمثالى بقصة المذءوب مجروح الرأس .

ولكن لماذا تفعل ذلك ؟ .. لماذا ؟ ..

* * *

ـ د . (رفعت) !

هذا صوت (جوستاف) ينادينى .. لقد استيقظ الآن فقط من نومه بعد إجهاد السكر ليلة أمس ، وقد بحث عنى فى الحانة فلم يجد لى أثرًا ولم يجد أحدًا يسأله .

.. هذا أنا يا (جوستاف) .. أنا هنا ..

صعد إلى فى الطابق العلوى حيث وقفت فى غرفة (إيكاترينا) .. وعلى الفراش وجد ثباب المذءوب ، فصاح فى غباء :

- هل .. هل قتلته ؟ وسلخته أيضًا ؟
 - _ يا لك من معتوه ا
- وفي كلمات سريعة شرحت له كل شيء ..
 - _ والعمل ؟

ـ أول شيء .. سنذهب للكنيسة لنواجهها بما تعرف .. ـ ثم ؟

ـ ثم نتدبر إخفاء الأمر أو إعلانه حسب ما يكون تفسيرها .. قد تكون قاتلة تستحق الإعدام وقد تكون مريضة انفصام تستحق العلاج ، لكن مهما كان لن نترك الأمر للعدالة الجماعية في هذه القرية المنكودة .. يجب الذهاب بها إلى (بوخارست) بأى ثمن .

* * *

فى الكنيسة قابلنا الأب (أنطونيسكو) .. سألته همسًا عن الفتاة فقال لى إنها لم تأت .. أقسمت له إننا لن نؤنيها .. فاحتد غضبًا مؤكدًا أنه لا يكذب ..

إذن أين ذهبت هذه التعسة ؟ .. وهل نجح الرعاة في الإمساك بها قبل أن أتمكن من .. علينا الآن أن نبحث عنها .

وهنا تذكرت شيئا فأخرجت صورة الشاب الوسيم التي كانت في حجرتها . وقريتها من نظارة القس .

_ هل تعرف هذا الشاب يا أبت ؟

لم يعط القس فرصة الترجمة (لجوستاف) لأنه قرب أنفه من الصورة .. وهتف :

- آه! .. (میخانیلسکو)!

ثم قال بضع كلمات أخرى .. ورسم علامة الصليب .. قال (جوستاف) :

_ يقول إن اسمه (ميخائيلسكو) ..

- هذا واضح ! .. أنا لست حمارًا على كل حال ..

ـ وأنه ابن العمدة .. كان مذءويًا وهاجم (ستيفانو) ، لكن (ستيفانو) أطاح بساقه بالفأس ، وفي الصياح بدت قصة عن ظروف بتر رجله ملفقة وسخيفة لهذا أدركوا أنه المذءوب .. وقتلوه ! ..

- وبالطبع هذا الفتى كان يحب (إيكاترينا) ؟

دارت محادثة سريعة بينهما أدركت من خلالها أن الإجابة نعم .. إذن هذه هي القصة .. قصة حب عنيفة بين الشابين مرهفي الحس ..ثم تفقد الفتاة حبيبها نتيجة خرافة أو قصة مغرضة صاحبها (ستيفانو) ، لهذا تصمم أن تنتقم وأن تحيل لياليهم المقمرة إلى جحيم .. كأنها قالت : حسن .. أربيتم مذءوبًا فلكم هذا !! ، وشرعت في كل شهر تقتل أحد الذين كانوا مسئولين عن موت حبيبها ، ثم اختارت ميتة بشعة لـ (ستيفانو) عن طريقي أنا .

كانت تعرف أن رأسه مجروح لهذا أدركت أن اختيار ليلة الأمس سبؤدى لقتله كما مات حبيبها ، ولما سارت الرياح لاكما تشتهى هى .. وكاد (ميلو) يفقد حياته ، ارتدت ثياب المذءوب وانتظرت كى تهاجم أول من يغادر الحانة .. وكنت أنا بلا فخر !..

ما النفسير الذي قدمه (ميخانياسكو) لفقد ساقه ؟
قال لهم إنه فقد وعيه ليلًا في أثناء سيره في
الغابة .. وحين أفاق لم يجد ساقه .. ووجد الجرح مربوطا
بيراعة كي لاينزف ، من ثم جر نفسه إلى داره .. وارتمى
فوق فراشه مغشبًا عليه حتى أيقظوه صباحًا ليتهموه بأنه
مذءوب !

قصة غريبة صعبة التصديق ، لكن إذا تخيلنا ـ بشيء من التمادى ـ أن (ستيفانو) كان يحب (إيكاترينا) هو أيضًا .. يمكننا أن نكمل القصة .. كان يستطيع أن يضرب الفتى في أثناء سيره في الغابة ، ويقطع ساقه بالفأس .. ويضمدها .. ثم يجرى للقرية ليعلن قصته المزيفة عن المذءوب ، وبهذا يتخلص من منافسه بطريقة نظيفة وبحكم إعدام جماعي .

لكن (إيكاترينا) كانت هناك ، وقد قررت أن تكافئ القرية بمذءوب حقيقى !

* * *

آخر سؤال وجهته للقس قبل أن ننهى حديثنا كان : - كيف بدأت قصة المذعوب في القرية ؟

نقل له (جوستاف) سؤالى ، فهز رأسه فى إرهاق .. وابتسم وشرع يتكلم .. قال (جوستاف) : ـ يقول إن هذا حدث من قرون ، منذ عهود القرون الوسطى ، عائلة (سخاروزان) الإقطاعية كانت تحكم البلاد بالحديد والنار .. لكن اللعنة أصابت نسلهم .. كان أطفالهم يولدون مذءوبين .. وكان المرض يبدأ باسوداد لون البول ومغص في بطونهم .. ثم يتحولون لمسوخ ذناب .

پول أسود ومغص ؟..مسوخ نناب؟..إن هذا يذكرني بشيء ما.. نعم.. هو كذا.. صحت بـ (جوستاف) :

- إن القصة كانت هكذا .. لكن الحقيقة أنهم كانوا مرضى بمرض له أسباب علمية وعلاج .. هذا المرض أسماه القدامى (مرض الرجل الذنب) .. اما اسمه العلمى فهو (بورفيريا) .

هذا المرض ناجم عن اختلال تمثيل الحديد في الجسم .. من ثم تحدث أعراض عديدة منها المغص والبول الأسود ، وفي حالات نادرة تستطيل الأظفار وتبرز الأنياب ويتجعد الجلد ، تصير الحواجب كثيفة والشفاه مشققة والعينان حمراويسن .. ثم يتجنب المسريض الشمس لأنسمه لا يتحملها (*)!..

_ باختصار يتحوّل إلى

[.] خليقة (🖈)

ـ يتحول إلى ذنب بشرى! .. وبمرور الوقت تولد الأسطورة .. وتعيش في النفوس ، ويستغلّها بعضهم لقتل زوجته أو منافسه في الحبّ ، أبدًا لم يوجد على الأرض رجال ذناب .

هتف (جوستاف) في جزع:

ىشدة ! ...

_ رائع! . . ولكن هلا اختصرت هذه المحاضرة العلمية إلى أن ننقذ القتاة ؟

يا الله ! .. لقد نسيتها تمامًا .. غمرتنى نشوة أن أجد تفسيرًا هذه المرة لهذا اللغز من ألغاز التاريخ ، وللحظة ظننت أننى خليط من (شيرلوك هولمسز) و (لوى باستير) .. وفاتنى تمامًا أن الوقت غير مناسب لهذا .. _ فلنسرع ! .. واشكسر لنسا الأب (أنطونيسكسو)

* * *

عند المقابر وجدناهم .. الدماء تلطخ الجليد الأبيض .. وهم جميعًا واقفون في صمت وقد نكسوا رءوسهم .

على الثلوج كانت معددة وشعرها الأسود الجميل بنتشر حولها ملطخا بالدم والثلج .. وفي صدرها كان نصل طويل غائصا إلى نصفه .. في حين وقف قاتلوها حولها يلهثون في إعياء .

لقد تأخرنا كثيرًا .. كثيرًا جدًا .



على الثلوج كانت ممدّدة وشعرها الأسود الجميل ينتشر حولها ملطحًا بالدم والثلج ..

وعلى قدميها ارتمى أحدهم يبكى ويغسلها بدموعه ، كان عارى الرأس وفى فروة رأسه جرح قطعى طويل .. لقد فقد (ستيفانو) حبيبته الرقيقة أمام عينيه وهو الذى فعل كل الفظائع التى فعلها لتكون له وحده .. لكنى لا أشعر بأى نوع من الرثاء له .

أخذ (جوستاف) ينشج في صمت ، وسالت دمعتان دافنتان على خدى سرعان ما تحولتا إلى ندفتين من الثلج جوار فمي .

ودون كلمة أخرى تأبط (جوستاف) ذراعى وأخذنى بعيدًا عن هذا المشهد المروع .

لقد انتهت أسطورة الرجل الذنب .. انتهت للأبد ، نكنى لست فخورًا على الإطلاق بدورى فيها .. لست فخورًا على الإطلاق .

والشمس تغرب فوق المقابر في سكون .



فى مطار (بوخارست) صافحت (جوستاف) وشكرته على كل شيء ، ثم إننى طلبت منه أن يكتب لى باستمرار . تحسس الجرح الذي في وجهى وهتف باسما :

_ إذا تحولت إلى مذعوب يوم الخميس القادم لا تنس أن تكتب لى ! . .

لم أبتسم .. وقلت في كآبة :

- أرجوك ألا تعود لهذا في خطاباتك ! ..

أوه ! .. لننس الماضى ..

أشعلت سيجارة .. وتأملت المسافرين المتجهين لصالة الجوازات .. وسألت :

ــ هل نشرت القصة ؟

.. 7 -

_ ولمه ؟ .. إنها مثيرة برغم كل شيء ..

- المكتب الثقافي في الحزب ..

وتلقّت حوله في حذر ليتأكد أن أحدًا لا يسمعه .. ثم أردف :

- قالوا إن قصتى خيالية .. و .. رجعية .. ولا تخدم أيديولوجية الحزب .. ثم إنها تتهم رعاة الجنوب بالتخلف !!

_ ربما كان هذا أفضل ..

وصافحته للمرة الأخيرة .. واتجهت لصالة الجوازات ، ناداني في لهفة صانحًا :

- حاول أن تعود لرومانيا قريبًا .. تنتظرك أشياء رائعة في قلعة الدكتور (فرانكنشتاين)!

ـ لا مقر من ذلك ! .. لكنى سأتعلم اللغة الرومانية أولًا ..

- وداغا .. يا رفيق ، تحياتي لأبي الهول !

_ وداغا ! ..

وأقلعت الطائرة ..

كنت أظن أننى عائد إلى عالمى الهادئ الناعم ، ولم أكن أعرف أننى سأواجه كابوسا جديدا في قريتي الصغيرة و لكن هذه قصة أخرى ...

د . رفعت إسماعيل _ القاهرة ١٩٩٢



[تمت بحمد الله]

رجلالمستهيل

صدر من هذه السلسلة:

	-	THE STATE OF THE S
٦٣ ـ الجاسوس .	٣٢ ـ خيــط اللهــب .	١ . الاختفاء الغامض. ١
٦٤ ـ تحــت الصـفــر .	٣٣ ـ القــوة (١) .	٢ . سهاق المسوت .
٦٥ ـ الجليد المشتعل .	٣٤ ـ مسارد الغضب .	٣ . قناع الخطر .
٦٦ . ألسف وجسه .	٣٥ . قراصنة الجو .	٤ . صائد الجواسيس.
١٧ . الجحيم المأردوج .	٣٦ . ذنب الأحسراش	ا ٥ ـ الجليد الدامسي .
١٨ ـ قلعة الصقور .	٣٧ ـ مخلب الشيطان	٦ . قتال الذياب .
٦٩ ـ أجنعة الانتقام .	٣٨ . لعبة المحترفين .	٧ . بريــق المــاس .
٧٠ . أياط رة الشر .	٣٩ ـ أعماق الخطر .	. ٨ . غريم الشيطان .
٧١ ـ ضد القانون .	٠٠ ـ مهنتي القتال ٠	٩ . أنياب الثعبان .
٧٢ ـ شريعة الغاب .	١١ ـ الانتصاريـون	م ١٠ . المال الملعبون .
٧٣ . المعتقل الرهيب .	٢٤ ـ الهدف القاتل	١١. المؤامرة الخفية
٧٤ ـ الدائرة الجهنمية .	1 . المخاطر .	٨ ١٧ . حلفاء الشر
٧٥ - أسوار الجحيم	11 ـ العيان الثالثة .	١٢ ـ أرض الأهــوال
٧٦ ـ النهر الأسسود .	ه ٤ ـ القضيان الجليدية .	۱ : ۱ عملية مونت كارلو
٧٧ . عمالقة مارسيليا	1 ء له رب الثانج .	١٥ . إميراطورية السم.
٧٨ - صحراء الدمجا.	٤٧ ـ الرصاصة الذهبية .	١٦ . الفدعة الأخيرة .
٧٩ - صفقة الموت جـ٢	٤٨ ـ شيطان المافيا .	، ١٧ ـ انتقام العقرب .
٨٠ وكر الإرهاب جـ٣	١٩ ـ الضّرية القاضية .	١٨ . قاهر ألعمالقة جـ١٠
٨١ ـ الرجل الأخر جـ١	. ٥ . مهمة خاصة .	٨ ١٩ - أبواب الجحيم جـ٧.
٨٢ - الأخطيوط جـ ٢	١٥ - سمم الكويسرا .	٧٠ . ثعلب الثلب وج.
٨٣ ـ معركــة القمــة	٥٢ ـ جبال الموت .	٨ ٢١ . مضيق النيران
٨٤ - جزيرة الجعيم	۵۳ . ذئاب ودماء .	٢٢ ـ أصابع النمار .
٨٥ . لمسلة الشر	٥٤ - رحلة الهالاك .	١ ٢٣ ـ فارس اللؤلــــــ .
٦٨ - الثعا ب	٥٥ - أفعى برشلبونة .	. ٢٤ ـ الضباب القاتل .
٨٧ ـ خط المواجهــة	٥١ ـ عملية الأدغال .	◊ ٢٥ . الخنجر الفضي.
٨٨ . سفير الخطـر	٥٧ ـ الفهدد الأبيس .	٨ ٢٦ . أخر الجباسرة
	۵۸ - اعـــدام بطل	٧٧ - الجوهرة السوداء
٨٩ ـ قضية السفاح .	٥٩ - إنتقام شبيح .	٨ ٢ - قلب العاصفــــة .
٩٠ _ الهدف	. ٦ . دونا کارولینا .	٢٩ ـ الصراع الشيطاني.
٩١ _ الوجه الخفى	١١ . ملائكة الجديم .	٣٠ . الرمال المحرقية .
۹۱ ـ الوجه المعلى	ع و ماك العصابات .	ماع الخطب قالأهاب

ملف المستقبل

صدر من هذه السلسلة:

١١ - الكابسوس .	٣١ - رنين الصنفت .	١ . أشعة الموت .
٦٢ ـ سادة الأعماق جـ١.	٣٢ - الأفسق الأخضر .	٢ - اختفاء صاروخ .
٦٣ - المحيط الملتهب جـ ٢.	٣٦ ـ حارس الأرواح .	٣ . مدينة الأعماق .
١٤ - السيف البلوري جـ١.	٢٤ ـ وحش المحيط .	؛ - غزاة الفضاء .
٦٥ - أبوأب الموت جـ٢.	٣٥ ـ مـرآة الغـد .	 القنبلة الغامضة .
٦٦ - الشمس الزرقاء .	٣٦ - الموت الأزرق جـ ١ .	٢ ـ زائر من المستقبل.
٦٧ - شيطان الفضاء .	٣٧ . السماء المظلمة جـ٢.	٧ - جنون طانرة .
١٨ ـ عقول الشر .	٣٨ ـ من وراء النجوم جـ٣.	٨ - الارتجاج القاتل .
٦٩ - العالم الأخسر .	٣٩ . الثلوج الساخنة .	٩ . صراع الحواس .
٧٠ - السيتار الأسود .	٠٤ ـ علامات الخوف .	١٠ ـ القارس المجهول .
٧١ - أمير الظالم .	٤١ ـ مملكـة النـار .	١١ ـ منطقة السرعب .
٧٢ - ابن الشيطان جـ١٠ .	٤٢ ـ الأرض الثانيــة .	١٢ - طريق الأشباح .
٧٧ ـ مبعوث الجصم ج٧٠	٤٣ ـ ثقب في التاريخ .	١٣ - الرَّمان المقطود .
٧٤ - الصراع الجهنمي جـ٣.	٤٤ - الخارقـــون .	١٤ . تداء النجسوم .
٧٥ - الجولة الأخيرة جد ؛ .	٥٥ ـ السنحاب الأحمر .	١٥ ـ مثلث الغموض.
٧١ - الاحتسلال ج.١ .	٤٦ ـ الكوكب الملعون .	١٦ - الوياء الجهنمي .
٧٧ - المقاومة ج٧.	٤٧ ـ المقاتل الأخيسر.	١٧. نيض الخلود.
۷۸ - الصراع جـ۳.	٨٤ ـ سجن القمسر .	١٨ ـ ظلل الفرع .
٧٩ ـ التحــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤٩ ـ غــزو الأرض .	١٩ . عيسون الهسلاك .
٨٠ النصر ج٥ .	٥٠ الأسطورة .	٢٠ - العقول المعدنية .
٨١ - رمسز القسوة .	٥١ - الخلية القاتلة جـ١.	٢١ - أطيساف الماضي .
٨٧ - حصن الأشرار .	٥٢ ـ العدق الخفي جـ٧.	٢٢ ـ ليلـة الرُعـب .
٨٣ - أرض العسدم .	٥٣ - أمطار المسوت .	٢٣ ـ بصمات السُخرة .
٨٤ كنز الفضاء . ا	٥٤ عَبْرُ العُصور جـ١.	٢٤ ـ الضوء الأسود .
٨٥ - الأمل القيروزي .	٥٥ - أسرى الزمن جـ٧.	٢٥ - صحوة الشير .
٨٦ - الاميراط .	٥٦ ـ شيطان الأجيال جـ٣.	٢٦ . لعنــة الفضــاء .
٨٧ - نصف آلى .	٥٧ ـ منطقة الضياع .	٢٧ - الفخ الزجاجي .
٨٨ ـ الاتفجار الحي	٥٨ ـ معركة الكولكب جـ ١ .	٣٨ ـ النهـ ر المقـدُس .
۸۸ - الانفجار التحي	٥٩ ـ جحيم أرغوران جـ٢.	٢٩ ـ الإيقاع المفترس.
۸۱ ـ البردان	. ٢ - أرض العمالقــة .	٣٠ ـ النار الباردة .
1		

رقم الإيداع: ٣/١٦٠٦

المطبعة العربية الحديثة ١٠٠٨ ما شارع ١٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية القاهرة. ٢٢٢٨٥ ، ٢٨٢٥٥٥